جوانب من الثقافة الأمازيغية المعاصرة

خديجة عزيز

جوانب من الثقافة الأمازيغية المعاصرة

جوانب من الثقافة الأمازيغية المعاصرة

خديجة عزيز

منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

سلسلة دراسات رقم 69

العنوان:

جوانب من الثقافة الأمازيغية المعاصرة

المؤلف:

خديجة عزيز

تصميم الغلاف :

سعيد البعقلي

الناشر:

المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

لوحة الغلاف:

الفنان عبد الله أوشگور

الطباعة:

دار أبي رقراق للطباعة والنشر بالرباط

صورة ظهر الغلاف:

قرية تونفيت بالأطلس المتوسط موطني الأصلي

تصوير:

حميد أخازيز

رقم الإيداع القانوني:

2018MO2440

ردمك:

978-9920-35-901-6

الحقوق محفوظة للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

الفهرس

الإهداء 7

تقديم... 9

اللغة الأمازيغية.. 11

السنـة الأمازيغيـة بعض المظاهر والتجليات........................ 21

اليوم العالمي للغة الأم 33

اليوم العالمي للكتاب: أي دور للكتاب الأمازيغي في الحفاظ على الثقافة الأمازيغية.... 41

التنوع الثقافي بالمغرب رافعة للتنمية وضمان الاستقرار 47

الإعلام الأمازيغي المكتوب الواقع والآفاق 51

الحــاجة إلى السـينما الأمـازيغـية... 63

طقوس الزفاف في جبال الأطلس عراقة وأصالة............................... 69

محمد رويشة ذكرى رحيل فنان ظل حاضرا بقوة 73

في الذكرى الـ 16 لخطاب أجدير التاريخي...................................... 77

المجتمع المدني الأمازيغي ودينامية الشراكة مع المؤسسات العمومية 81

قراءة في تجربة المسرح الأمازيغي بين الأمس واليوم............................. 89

المرأة والطفل الثروة النفيسة... 97

احتفالا باليوم العالمي للمرأة 2017: المرأة المغربية في المرافق العامة 99

خصوصيات الشعر الأمازيغي بالمغرب.. 105

المقاومة النسائية في الشعر الأمازيغي (الأطلس المتوسط نموذجا)................. 123

إهـــــــداء

إلى روح أمي الغالية... التي وهبتني كل أيام عمرها...

ورحلت قبل أن ترى ثمار تربيتها.

إلى روح والدي الحنون... الذي فقدت برحيله أباً شهماً... كريماً.

مع الدعاء لهما بالرحمة والغفران.. جزاءً لما زرعاه فيّ من روح المثابرة والعزيمة وحب العلم والمعرفة.

تـــقديـــم

بين يدي الكتاب

يندرج هذا العمل الذي أقدمه بين دفتي هذا الكتاب، في نطاق اهتماماتي المتواصلة بالثقافة الأمازيغية، وما يرتبط بها من قضايا ووجهات نظر متعددة ومتنوعة. وتغطي هذه المساهمات الواردة فيه انشغالاتي بالثقافة المغربية عامة والأمازيغية خاصة في مختلف تجلياتها الفنية والجمالية والاحتفالية، وذلك لقرابة عقدين من الزمن.

إنه محاولة لبسط رؤية خاصة اتجاه هذه الثقافة من خلال مجموعة من المقالات التي سبق نشرها في منابر إعلامية وطنية، تستهدف الكشف عن الأبعاد الثقافية والحضارية والفنية لمجتمعنا المغربي، خاصة في بُعده الأمازيغي. وتحاول هذه المقالات من حيث مجالاتها، ملامسة مجموعة من حقول الثقافة الأمازيغية:

- اللغة الأمازيغية، من خلال إثارة قضايا التعدد اللغوي والتنوع الثقافي بالمغرب، ورهان الكتاب الأمازيغي في هذا الباب؛

- الفنون الأمازيغية، من قبيل الشعر والمسرح والسينما؛

- الإعلام الأمازيغي؛

- قضايا اجتماعية وثقافية، من قبيل المرأة والطفل، والسنة الأمازيغية؛

- المجتمع المدني الأمازيغي.

آمل أن يكون هذا العمل قيمة مضافة للمساهمات الجادة التي تصب في خدمة النقاش حول قضايا الأمازيغية، ويعكس وجهة نظر متتبعة لهذا الشأن من الداخل.

اللغة الأمازيغية

تكلم الأمازيغ بلسانهم الذي هو واحد من أعرق ألسن شمال إفريقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط، وتعد اللغة الأمازيغية من اللغات الوطنية التي ظلت صامدة واحتلت مكانة مهمة في شمال إفريقيا والساحل، إذ لا تزال مجتمعات عديدة تتحدث بها. وقد نافست لغات مرموقة على مدى التاريخ مثل اللغات الفرعونية والرومانية ولغة القرآن،[1] كما نافست حروف تيفيناغ الكتابة المسمارية، التي كانت سائدة في بلاد الرافدين مهد الحضارة السومرية الآسيوية العريقة، والحرف الفنينيقي الذي انتشر في لبنان والشام الحاليين، حروف امحت أو بقيت في رفوف التاريخ، وأخرى استطاعت الصمود كالحرف العبري والآرامي واللاتيني وحروف شعوب شرق آسيا وأخرى في كندا.[2] وتتكون اللغة الأمازيغية إجمالا من فروع جهوية ثلاثة، وهي: تاريفيت في الشمال، وتامازيغت في الوسط والجنوب الشرقي، وتاشلحيت في الأطلس الكبير وفي الجنوب الغربي الأوسط والعمق الصحراوي، وتستعمل أوجه هذه اللغة خارج هذه الفضاءات في المحيط العائلي، خاصة بالنسبة لبعض الأسر التي احتفظت بها في المدن الكبرى، وكذا في بعض الظرفيات الحميمية غير الرسمية بين شخصين أو أكثر ينحدرون من فرع لغوي واحد. فما يناهز 50 % من ساكنة المغرب يتكلمون الأمازيغية (بوكوس 1995)؛ وإن ثلاثة أرباع تلك الساكنة مزدوجي اللسان، بين الأمازيغية والعربية المغربية الدارجة (اليوسي 1989). وهذه الفروع الجهوية السالفة الذكر[3] وإن كانت بينها اختلافات معجمية وصوتية (فونيتيكية)، فإن نسبة المشترك فيما بينها، أكثر بكثير من عناصر الاختلاف، مما جعل اللسانيين الأمازيغيين بالمغرب يعتمدون تصورا توحيديا للغة الأمازيغية، تبناه

1- Ahmed Boukous in actes du colloque la Standardisation de l’amazighe, IRCAM, 2004, P : 11

2- جهادي الحسين عرض قدمه خلال الندوة الفكرية التي نظمتها جمعية حمو اليازيد للثقافة والتنمية بالرباط سنة 2009.

3- مدخل إلى اللغة الأمازيغية، سلسلة الترجمة رقم 09 – (كراسات)، الرباط 2006، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة كانا برنت ص ص 11 - 12.

المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ووزارة التربية الوطنية المغربية منذ سنة 2003. وقد عاصرت حروف تيفيناغ أهم الأبجديات، كالحرف العبري والأرامي واللاتيني وحروف شعوب شرق آسيا وغيرها. وتتميز اللغة الأمازيغية التي يعتبر استمرارها حتى اليوم «معجزة» حقيقية، بنسقها اللسني وبخصائصها الصواتية والمعجمية، وقد حافظ عليها الأمازيغ بالتداول الشفهي بفضل تراث غني من الآداب المحكية، وبفضل اعتمادهم عليها في أنشطتهم اليومية، مما جعلها قلة الكتابة بها إلا في حالات نادرة، تتصف بحيوية كبيرة مصدرها تجذر الثقافة وعمق الإحساس بالهوية[4].

وتكتب الأمازيغية بحروف مختلفة، أعرقها الحرف الأمازيغي تيفيناغ، ويعود ظهوره إلى 9000 سنة. وقد أشار الباحث Gabriel Camps بأن تيفيناغ لا يمكن أن تكون ظهرت في وقت أقل قدما من ألف سنة قبل الميلاد[5]. وتتكون حروف تيفيناغ من عدة أبجديات ك «الأبجديات الشرقية» في غرب ليبيا الحالية، وشرق الجزائر وتونس الحالية ويبلغ عدد حروفها 23 حرفا، وهناك «الأبجدية الغربية» بين قسطنطينة شرقا، والمحيط الأطلسي غربا، وجبال الأطلس جنوبا عددها 33 حرفا، و«الأبجدية الصحراوية» في المناطق الصحراوية (منطقة تيشيت ولاته بموريتانيا الحالية) وتعد الكتابة بحروف تيفيناغ المعروفة بكتابة إنسان» عزيب ن إيكيس A Azib n ikkis أقدم كتابة وتوجد في جبل ياكور بالأطلس الكبير قريبا من مدينة مراكش، وتعود على الأقل إلى حوالي (1300-1200) قبل الميلاد.[6] ويمتد مجال انتشار حروف تيفيناغ، من شمالي السودان إلى الجزر الخالدات غربا، وصقيلية والأندلس شمالا، وهي مشتقة اشتقاقا من اللغة الأمازيغية تيفيناغ أي «اكتشافنا»، وقد أثبتت الدراسات أنه لم ينشأ على أرض القارة

4- أحمد عصيد، سياسة تدبير الشأن الأمازيغي بالمغرب، اعتمادا على تفسير استمرار تواجد اللغة الأمازيغية، أحمد بوكوس : «الأمازيغية، المفارقة بين الواقع والقانون» دفاتر سياسية عدد 30 بتاريخ 1-15 فبراير 2002. وكذا محمد شفيق «عبقرية اللغة الأمازيغية»، عن كتاب «من أجل مغارب مغاربية بالأولوية» ص 51 الطبعة الأولى – منشورات مركز طارق بن زياد 2000.

5- المرجع السابق ص 52.

6- Ahmed Skounti, Abdelkhalek Lemjidi,El Mustapha Nami, «Tirra Aux Origines de L'écriture au Maroc», Institut Royal de la culture amazighe, Rabat, Série Etudes et Recherches, N°1, 2004.

الإفريقية كلها إلا أبجديتان اثنتان بصرف النظر عن الهيروغليفيات، هما الأبجدية الأمازيغية والأبجدية الأثيوبية[7].

وتظهر النقوش الصخرية المنتشرة في كافة أرجاء بلاد تامازغا، والتي عثر عليها الباحثون في المغرب، والجزائر، وليبيا، وتونس، ومالي، والنيجر وجزر الكناري، أن حروف تيفيناغ كانت هي المعتمدة في الكتابة الأمازيغية لدى الأمازيغ القدامى. وبعد ذلك انحصر استعمالها في مناطق عدة، وانحصر تداولها عند أمازيغ الصحراء المعروفين بالطوارق. لكن حضورها كان بارزا في الوعي الجماعي لتوظف في الحلي والزرابي والمنقوشات اليدوية والوشم ووسائل التزيين لدى المرأة الأمازيغية.

ويعود أول اكتشاف للكتابة الأمازيغية إلى سنة 1631، عندما عثر طوماس داركو Tomas D’Arco في مدينة Thugga على جدار ضريح «مس ن آسن»، على نقيشة مزدوجة الكتابة الأمازيغية والبونية، وفي القرن 19، برزت دراسات اهتمت بهذه النقيشة وخلال القرن العشرين أصدر أول مجموع corpus للنقائش الأمازيغية بشكل عام، وآخر خاص بنقائش المغرب، إلا أن هذين المجموعين لم يهتما بالكتابات الموجودة على اللوحات الصخرية. وهذا ما قام به باحثون مغاربة، حيث جمعوا حوالي أربعين نقيشة نشرها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سنة 2003 تحت عنوان:

Tirra, aux origines de l’écriture au Maroc.

وهكذا، واعتمادا على شكل النص وطريقة كتابة ونوعية حروفه ونطقها ميز الأخصائيون في هذا المجال، بين ثلاث أبجديات هي:

1 - **الأبجدية الشرقية** (Alphabet oriental) : وتسمى في بعض الكتابات بالنوميدية، وتنتشر في مجال يضم غرب ليبيا الحالية، وتونس الحالية، وشرق الجزائر حتى قسنطينية، أي الأراضي الماليسية كما سمتها الأسطوغرافيا القديمة.[8]

7- المرجع السابق، ص 61.

8- المرجع السابق، ص 62.

2 - **الأبجدية الغربية** (Alphabet occidental) : ويمتد مجال انتشارها بين قسنطينة شرقا والمحيط الأطلسي غربا. وهي بذلك تمتد في مجال الموريين. أما من جهة الجنوب فيبدو أن جبال الأطلس هي حدودها.

3- **الأبجدية الصحراوية** (Alphabet Saharien) ونجدها بالمناطق الصحراوية، ويتركز تواجد نقائشها على اللوحات الصخرية بمنطقة تيشيت ولاته بموريتانيا الحالية. وغالبية هذه النقائش نصوص أمازيغية مختصرة. ومن هذه الأبجدية الصحراوية ستنبثق تيفيناغ القديمة وتيفيناغ الحديثة[9]. هذه الأخيرة لا يزال شعب التوركـ يستعملها. كما أن النقائش التي عثر عليها في جزر الكناري تنسب إلى هذه الأبجدية الصحراوية.

يقول الأستاذ محمد شفيق في كتابه «من أجل مغارب مغاربية بالأولوية[10]» لنا نحن المغاربة، سكان المغرب الكبير، معلمة ثقافية نبخسها حقها من الإهتمام والصيانة، لقد ظلت صامدة لنوائب الدهر بصورة تلقائية منذ آلاف السنين، بل منذ أن وجد المغاربة. هي أهم معالمنا الحضارية، لا لأنها أقدمها فقط، ولكن لأنها هي التي صنعت خصوصياتنا التي نتميز بها عن غيرنا. وهي معلمة لم يحدثها جيل واحد من أسلافنا وأجدادنا، بل ساهم في إنشائها وفي إغنائها كل جيل منذ أن نطق البشر... إن تلك المعلمة، هي «أوال أمازيغ» كما سماها الحسن الوزان؛ هي «اللسان الغربي» كما سماها البيذق من قبل الوزان؛ هي اللغة الأمازيغية الضارب وجودها في القدم بحيث يتلاقى المؤرخون (Gabriel Camps) واللسانيون المهتمون بالدراسات المقارنة (Werner Vycichl) في القرار بأنها أقدم اللغات، مستندين من جهة إلى الآثار المادية المتجسمة في نقوش «تيفيناغ» كما تتجلى عبقريتها في كونها تلقى جذورها في أعماق التاريخ، وفي كونها تتميز ببنيات لغوية وصرفية وتركيبية خاصة بها. وتستعمل اللغة الأمازيغية مجموعات بشرية تتفاوت كثافتها، ودرجة التداول بهذه اللغة تختلف من قطر لآخر حسب معطيات ذاتية وشروط موضوعية مرتبطة بوضع اللغة الأمازيغية والموقف منها[11].

9- المرجع نفسه.

10- محمد شفيق من أجل مغارب مغاربية بالأولوية مطبعة أو إصدارت مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، الرباط الطبعة الأولى 2000 صص 51 - 52.

11- من مداخلة الاستاذ أحمد بوكوس، من كتاب سلسلة أعلام الثقافة الأمازيغية «محمد شفيق»، منشورات عكاظ، الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، أيام الثقافة الأمازيغية الرباط 16 و23 نونبر 1990. ص: 19 - 20.

إلا أنه لوحظ بعض الخصوصيات في كتابة جزر الكناري، ولذلك تنعت بكتابة الكوانش (Guanche)، لكنها كتابة أمازيغية دون شك، بينما عثر بالصحراء المغربية الحالية على بعض النقوش معها كتابة تيفيناغ. وعثر في تدرارت الجنوبية (ليبيا) على كتابة تيفيناغ الحديثة مع نقوش للفرس والنعامة، مما يعني أنها استعملت في وقت عاش فيه الحيوان بالمنطقة.[12]

غير أن أقدم كتابة هي المعروفة بكتابة إنسان عزيب ن ايكس في جبل ياكور بالأطلس الكبير. فالتقنية وزنجار الكتابة تشبه تقنية وزنجاز الإنسان مما يؤكد تزامنهما. والمعروف أن الإنسان المنقوش الحامل للكتابة يعود إلى الوسط المعروف بالبرونز الأوسط في الأطلس الكبير.[13]

كما أن الأمازيغية لو يعنى بها العناية الكافية، ستساعد مؤرخي العصر القديم خاصة في تعميق أبحاثهم. وقد صارت هذه اللغة منذ أواخر القرن التاسع عشر محط اهتمام لدى اللغويين المعنيين بتطور اللغات، نظرا لحيويتها رغم اعتمادها على الشفوية وحدها وهي لا تزال حية، محافظة على كيانها الذاتي وبصفتها لغة حية يتخاطب بها الناس، في تلقائية وعفوية، قابلة للانتعاش والنمو والازدهار.[14]

وتنتمي اللغة الأمازيغية إلى ما يسمى بالأسرة الأفرقية -الآسيوية، وتحديدا إلى فصلية الحامية السامية. والتي تتكون من الفرع السامي والفرع المصري القبطي، والفرع التشادي، ثم الفرع الليبي- الأمازيغي.[15]

ومع تنامي الوعي وظهور جمعيات ومنظمات مدنية أمازيغية، وتعزيز البحث الأكاديمي في التاريخ والحضارة واللغة في المغرب وشمال إفريقيا، عادت حروف تيفيناغ لتبرز من جديد، وتؤدي دورها الخاص من خلال الكتابات الأمازيغية التي واكبتها الجرائد، والمجلات.

12- مصطفى أعشي، نشرة إبنغميسن أسيناكَ العدد ¾ منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ص 37.

13- المرجع السابق.

14- محمد شفيق لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي الطبعة 2، 2000، ص 60.

15- بوكوس أحمد، الأمازيغية والسياسة اللغوية والثقافية بالمغرب، مركز طارق بن زياد، الطبعة الأولى نونبر 2003، ص 36 - 41.

ويضم منهج تدريس اللغة الأمازيغية التوجهات الكبرى لتعليمها باعتبارها لغة وطنية لجميع المغاربة تعمم على كافة مناطق المغرب، وفي كافة أسلاك التعليم وبحرفها الأصلي العريق «تيفيناغ»، ويتم توحيدها بالتدريج وبناء نسقها اللسني على أسس علمية ومعيارية. وقد قام المعهد بموجب ذلك، بتنميط وتقعيد وتحديث الكتابة بالحرف الأمازيغي تيفيناغ، وملاءمته مع مقتضيات المعلوميات والعمل بالحاسوب، مما منحه اعترافا دوليا سنة 2004 من طرف المعهد الدولي لمعيرة الخطوط ISO-Unicode .

وبهذه المصادقة الدولية، يمكن للأمازيغية أن تستفيد من معايرة المنتوجات الإلكترونية، ومن تخصيص قن معلوميات(جدول، اسم ورقم) لحروف تيفيناغ، وهو ما سيتيح سهولة في تبادل الوثائق الإلكترونية دون ضياع المعلومات. وبهذا التطور سيدخل الحرف الأمازيغي مجال البرمجيات التي تنتجها كبريات الشركات المتخصصة في الإنتاج المعلوماتي، وهو ما من شأنه أن يسهل استعمالها في الأنترنت ومعالجة النصوص.

للإشارة فإن المنظمة قد صادقت على الملف منذ أول وهلة، وهي أول مرة يتم القبول بأحد الملفات المعروضة دون مراجعته. فقد احتاجت العربية، على سبيل المثال، إلى عدة سنوات وإلى الكثير من التوصيات قبل المصادقة عليها. وحاليا في مجال الدراسات المعلوماتية وأنظمة الإعلام والتواصل، تم وضع معايير خاصة بحرف تيفيناغ تؤطر استعمال النظام الأبجدي الأمازيغي في الكتابة على أجهزة الحاسوب كما وتم إعداد بنك معطيات رقمي خاص بالأمازيغية وبحرف تيفيناغ؛ وكذا ترميز حرف تيفيناغ والنظام الأبجدي، وفق القياسين العالميين UNICODE وISO 10646، الشيء الذي مكن من إدماج الأمازيغية في الحاسوب وعلى شبكة الإنترنيت بحرفها الخاص تيفيناغ.

وتعرف الكتابة الأمازيغية بأسماء عديدة منها:

- الكتابة الليبية. البربرية (L’ecriture libyco-bérbére)
- الكتابة الليبية. الأمازيغية (L’écriture libyco-Amazigh)
- تيفيناغ (Tifinagh)[16]

16- Ahmed Skounti, Abdelkhalek Lemjidi,El Mustapha Nami, «Tirra Aux Origines de L’écriture au Maroc», Institut Royal de la culture amazighe, Rabat, Série Etudes et Recherches, N°1, 2004.

وتمثل الأمازيغية اللغة الأصيلة التي يتداولها اليوم قرابة ثلاثين مليون متكلم عبر العالم.[17]

ويشكل قرار إدراج الأمازيغية في المنظومة التربوية الوطنية أحد أهم القرارات التي عرفها العقد الأخير من تاريخ المغرب المعاصر، مما جعل منه حدثا يؤشر إلى انعطاف تاريخي في سياسة الدولة المتعلقة بالتربية والتعليم، وبتدبيرها لإرثنا الرمزي عموما[18].

فبدءا من شتنبر 2003، شرع في تدريس الأمازيغية وفق مبادئ وتوجهات سياسية وضعها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بتنسيق مع وزارة التربية الوطنية، وذلك بعد أن قام المعهد بتوقيع اتفاقية شراكة مع وزارة التربية الوطنية (2003)، وتشكيل لجنة مشتركة لمتابعة هذه العملية، وبتنسيق بين الطرفين تم وضع «منهاج اللغة الأمازيغية في التعليم»، والذي يضم التوجهات الكبرى لتعليم الأمازيغية باعتبارها لغة وطنية لجميع المغاربة تعمم على كافة مناطق المغرب وفي كافة أسلاك التعليم وبحرفها الأصلي العريق «تيفيناغ»، ويتم توحيدها بالتدريج، وبناء نسقها اللسني على أسس علمية ومعيارية.

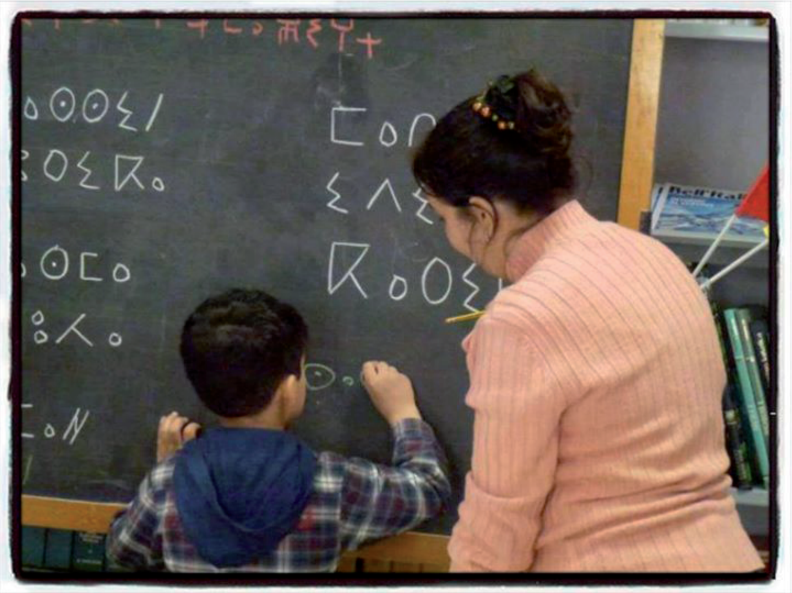

17- مسار اللغة الأمازيغية الرهانات والاستراتيجيات، أحمد بوكوس، مطبعة طوب بريس الرباط، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2013 ص 11.

18- أحمد عصيد، (2009) الرهانات الكبرى للأمازيغية في التعليم، مجلة أسيناگ العدد 2، ص 13 إصدار المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. مطبعة المعارف الجديدة.

ومنذ الدخول المدرسي لسنة 2003-2004، انكب المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ووزارة التربية الوطنية على إعداد المناهج التعليمية والكتب المدرسية، وعلى تكوين المدرسين والمفتشين. وحسب السيد عميد المعهد، فإن تدريس الأمازيغية أصبح فعليا منذ الدخول المدرسي لسنة 2009-2010، بالعديد من المدارس على صعيد المستويات الستة للتعليم الابتدائي. ويوجد اليوم حوالي 10 آلاف مدرس للغة الأمازيغية في نحو ثلاثة آلاف و400 مدرسة. وقد صار حاليا أكثر من 600 ألف تلميذ يتعلمون الأمازيغية بحرف «تيفيناغ»، إضافة إلى 1200 طالب يتخصصون في مسالك الدراسات الأمازيغية ببعض الجامعات المغربية[19].

على مستوى التكوين المستمر: تكوين أزيد من 13.100 أستاذة وأستاذ للتعليم الابتدائي، وأكثر من 300 مفتشة ومفتش، وأزيد من 700 مديرة ومدير وحوالي 75 مكونة ومكون في مراكز التكوين على الصعيد الوطني.

وقد بدأ التعليم ينفتح بشكل متزايد على الثقافة الأمازيغية، حيث تم سنة 2007 إحداث مسلك للدراسات الأمازيغية بجامعة ابن زهر بأكادير واليوم، يوجد أيضا مسلك للغة الأمازيغية بكليتي الآداب بفاس ووجدة، وآخر بكلية الآداب بتطوان، مع تخصص في اللغة العربية واللغة الأمازيغية بهذه الكلية. وأن أزيد من ألف طالب اختاروا الأمازيغية كلغة تخصص، وأن عدد خريجي هذا المسلك آخذ في الإرتفاع حسب ما جاء في حديث أجرته وكالة المغرب العربي للأنباء مع السيد العميد بتاريخ 29 مارس 2011.

وحاليا أصبح عدد المسجلين في مسالك الدراسات الأمازيغية وفي الماسترات بثلاث جامعات مغربية يقدرون بحوالي 1049 (ألف وتسعة وأربعون طالباً): 149 في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، و400 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، و500 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير.

لقد أصبحت للغة الأمازيغية وظيفة سوسيولغوية جديدة بفضل المجهودات التي بذلت على مستوى التربية والتكوين، حيث يتم تعليمها وتعلمها من خلال

19- من حوار أجرته جريدة المساء المغربية مع السيد عميد المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية الأستاذ أحمد بوكوس نشر يوم 2 يوليوز 2011.

وضعيات تواصلية ديداكتيكية تعتمد تعلم اللغة المعيار بفضل هذه الوظيفة الجديدة للغة الامازيغية تمكنت من المساهمة في تحقيق قيم العقيدة الإسلامية، وقيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية، وقيم المواطنة، وقيم حقوق الإنسان ومبادئه الكونية. لقدأكد منهاج اللغة الأمازيغية على مكتسبات مهمة تحققت منها أن اللغة الأمازيغية لغة عريقة تحمل حضارة عريقة وأنها لغة متداولة على نطاق واسع في الإبداع الثقافي والمعاملات اليومية وأنها لها دور أساسي في التنمية الشاملة بالإضافة إلى كونها لغة إبداع ثقافي فإنها تشكل عاملا أساسيا في تقوية الوعي بالذات المغربية[1] لكن هذه المنجزات التي حققتها وزارة التربية الوطنية في سياق إدماج الأمازيغية في المدرسة المغربية لم يرق إلى طموح الوزارة، ولم يستجب كذلك للتطلعات، ولم يصل إلى سقف التوقعات التي حددتها الوزارة في بداية هذه الصيرورة. فالتوقعات أفادت في حينه أن تعميم تدريس الأمازيغية سيتحقق في السنة الدراسية 2011 - 2012، في حين أن الإحصائيات المتوفرة حاليا لا تقترب من ذلك السقف، فهي تشير إلى أن 15 في المائة فقط من التلاميذ يتابعون درس اللغة الأمازيغية، و26 بالمائة فقط من المدارس العمومية و4 بالمائة فقط من الأساتذة الذين يدرسون اللغة الأمازيغية، وهي إحصائيات لوزارة التربية الوطنية، تؤكد بشكل لا يدع مجالا للشك أن الوزارة لم تصل إلى مستوى توقعاتها...، والسبب كما يحاول أن يروج لذلك البعض، لا يعود إلى صعوبة الكتاب المدرسي، لأن المعهد أعد كتابا للتلميذ من السنة الأولى إلى السنة السادسة ابتدائي، وقام بإنجاز دليل للمدرسين في نفس المستويات الدراسية، وأعد كذلك منهاجا لتدريس الأمازيغية وفق ضوابط علمية رصينة. والمقاربة البيداغوجية والديداكتيكية في المنهج الذي أعددناه بمعية شركاء آخرين يعد من أنجع المقاربات. وفي تقديرنا يبقى مشكل غياب الموارد البشرية المكونة هو المشكل الأساسي الذي يعيق مسلسل إدراج الأمازيغية في التعليم[2].

1- تدريس اللغة الأمازيغية بالبلدان المغاربية، بنعيسى يشو، ص 6، مجلة دولية محكمة للسانيات والمجتمع إعداد: الدكتورة فاطمة اكناو بدعم من المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، عدد مزدوج 25 و26. 2010 مطبعة جامعة فاس سايس.

2- المرجع السابق.

لقد نص الفصل الخامس من الدستور على أنه «تعد الأمازيغية أيضا لغة رسمية للدولة، باعتبارها رصيدا مشتركا لجميع المغاربة، بدون استثناء...»، و على أنه «يُحدَث مجلس وطني للغات والثقافة المغربية، مهمته، على وجه الخصوص، حماية وتنمية اللغات العربية والأمازيغية».

ويعد ترسيم اللغة الأمازيغية حدثا بارزا ذا أبعاد تاريخية بالنسبة للمغرب ولتراثنا الوطني عامة، وكذا بالنسبة للغة والثقافة الأمازيغيتين على وجه خاص، على اعتبار أن هذا الترسيم هو ثمرة تتوّج سيرورة تطور سياسي، شارك فيه فاعلون من المجتمع المدني ومؤسسات وطنية وسياسية والنخبة المثقفة.

إن إقرار اللغة الأمازيغية دستوريا، يعني مأسسة هذا الواقع الثقافي العريق، وإعطائه كل الإمكانيات والضمانات القانونية الضرورية للتطور والارتقاء.

السنـة الأمازيغيـة بعض المظاهر والتجليات

تعددت تجليات الاحتفال برأس السنة الأمازيغية، بوصفها مظاهر اجتماعية، تحمل دلالات رمزية وتاريخية على مستويات عديدة، منها ما هو ثقافي، وفني، ومنها ما هو أنتروبولوجي.

غير أن ما يميز الاحتفال بالسنة الأمازيغية هو تمسك الناس بالعادات والتقاليد التي تختلف من منطقة إلى أخرى، الشيء الذي يُكسبها أبعادا رمزية يعبر عنها المجتمع بممارسة طقوس احتفاليته ترسخت جذورها في الثقافة الأمازيغية التي تعد ثروة وطني.

ونظرا للأهمية التي أصبح يحظى بها هذا الاحتفال والذي صار تقليدا سنويا لدى المناطق القروية والحضرية على حد سواء، وأخذ بالتالي أبعادا جديدة لتبنيه من طرف الجمعيات المدنية والجماعات الحضرية والقروية والمؤسسات العمومية والخاصة، وتحول إلى مطلب معلن من مطالب الفاعلين الأمازيغيين، لكي يتم ترسيمه كيوم عطلة وعيد وطني، كما هو الشأن بالنسبة لرأس السنة الهجرية، ورأس السنة الميلادية. لما يحمله من دلالات رمزية ثقافية وحضارية وتاريخية.

ويتمثل الاحتفال برأس السنة الأمازيغية في إعداد الوجبات التقليدية وإقامة الطقوس الاحتفالية وفق عادات وتقاليد ورثها الخلف عن السلف وتتنوع بتنوع المناطق المغربية. إلا أن القاسم المشترك بينها هو غلبة الطابع الجماعي للاحتفال، بحيث تشكل مناسبة الاحتفال بالسنة الأمازيغية الجديدة فرصة يجتمع فيها أفراد الأسر لمد جسور التواصل وصلة الرحم.

ويحتفل برأس السنة الأمازيغية الجديدة، الذي يصادف ليلة 13 يناير من السنة الميلادية في كل دول شمال افريقيا، وتعرف بئنايـر YENNAYER، وهي كلمة مركبة من YEN أي واحد وAYER وهو الشهر: أي الشهر الأول في السنة.

كما يطلق عليه أيضا ID N USGGAS أي ليلة رأس السنة، أو «تابورت أوسقاس» باب السنة، وهو اليوم الذي يفصل بين فترتين.

ومن خصائص ليلة رأس السنة الأمازيغية، أنها توافق أطول ليلة في السنة وبعدها يبدأ الشروع في امتداد طول النهارِ وقِصَرِ اللَّيْلِ على موعد أن تكون مناسبة ل «لْعَنْصْرَا» زمن انقلاب الشمس الصيفي، ويتزامن «يناير» من الناحية الفصلية مع تعاقب الفصول، وكذا مختلف أطوار حياة النباتات، التي عادة ما تحدد أوقات القيام بعملية الزراعة والحرث، وبالنسبة للتوقيت فإن «إِضْ نُ ؤسگَاس أمَايْنّو»، يوافق منتصف ما يسمى في «التقويم الفلاحي الأمازيغي» ب «ليالي تيخاتارين» أي الليالي كبيرة «والتي تبدأ يوم 25 دجنبر الميلادي من كل سنة وتدوم 40 يوما.[3]

ويحتفل بالنَّايْرْ الذي يرمز إلى الخصوبة والازدهار، بإقامة طقوس خاصة تباشرها القبائل الأمازيغية، حيث يتم في هذه المناسبة، نحر ديك على عتبة المنزل، وذلك لإبعاد سوء الطالع، وللتفاؤل بالخير، ووفرة المحاصيل. ويعتقد في بعض المناطق، أن من يحتفل بالنَّايْرْ، سيبعد عن نفسه عين السوء، وعواقب الزمن. كما يعد يناير مناسبة للقيام بطقوس محلية عديدة، تختلف باختلاف المناطق.

وتبدأ السنة الأمازيغية يوم 13 يناير من كل سنة وفي ليلة ذلك اليوم، يتم الاحتفال بحلول السنة الجديدة وفق طقوس معينة، تختلف شيئا ما من منطقة إلى أخرى. وتلك الليلة تسمى إض - ؤسْگَاسْ أو إضْ - نُو - سْگَاسْ، في بعض المناطق، ويطلق عليها في مناطق أخرى إضْ - نْ - حكوزة (آيت سغروشن، إزيان، اشقيرْنْ)، وبيانو (آيت وراين) [4]. وكما يدل عليها اسمها إض - ؤُسكاس، أي ليلة السنة، فإنها تعني في آن واحد ليلة نهاية السنة المنصرمة وبداية السنة الجديدة، وللتعبير عن فرحتهم بهذه المناسبة، يقوم الناس بإعداد وجبات أكل خاصة، تتفاوت مكوناتها من منطقة إلى أخرى.

3- الرواية الشفوية بمناطق الأطلس الكبير الشرقي.22.

4- محمد حمام، السنة الأمازيغية بالمغرب: معطيات تاريخية»، دورية المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية العدد 2 ص 21.

مميزات السنة الأمازيغية

بحلول السنة الأمازيغية الجديدة، فاتح يناير يبدأ النشاط الفلاحي، وتكون عادة تلك الفترة المتمثلة في الاعتدال الربيعي والانقلاب الشتوي خلال السنة. كما أشار الأستاذ محمد حمام إلى أن «... ما نعرفه عن السنة الفلاحية عن طريق الرواية الشفوية فهي تتكون من 365 يوما مقسمة إلى أربعة فصول هي: تكرسْتْ (الشتاء)، وتلدرار أو تَرْدَرارْ لدى أهل دادس وإيمغران وآيت بُووُولي في الاطلس الكبير، وتَفْسوُتْ أو تِيفْسَا في مناطق أخرى من الأطلس المتوسط وشمالي مدينة فاس (فصل الربيع)، وانْبْدُو (فصل الصيف) وتَمَنْزْوِيتْ لدى آيت بووولي (فصل الخريف). وتمَنْزويت مشتقة من جذر فعل إِنْزْيْ الذي معناه وَصَل باكرا، وبتعبير آخر، فهذا الفصل هو فصل الحرث المبكر، وبعض الزراعات السريعة، والملاحظ أن مدة هذه الفصول تتفاوت شيئا ما حسب المناطق، ففصل الحرارة يبدأ مبكرا في المناطق الصحراوية.

وتتكون السنة الأمازيغية الفلاحية حسب الأستاذ محمد حمام من اثني عشر شهرا هي : يناير، وفبراير، ومارس، وأبريل، ومايو، ويونيو، ويوليوز، وغشت، وشتنبر، وأكتوبر، ونونبر، ودجنبر، وبفعل انتشار الإسلام في المغرب تمت أسلمة أسماء بعض الشهور الأمازيغية وخصوصا منها الشهور التي لها طابع ديني كشهور رمضان، وعاشوراء والمولد النبوي. وهكذا تداخلت السنة الفلاحية الأمازيغية مع السنة الهجرية، وفيما يلي قائمة هذه الشهور بالأمازيغية حسب نفس الدراسة (21)

1/ رَمْضَانْ = رمضان

2/ وِينْ العيدْ = شوال

3/ وِينْ كَرْ لَعْيَادْ= ذو القعدة

4/ وِينْ تَفَسْكَا = ذو الحجة

5/ تَاعَشُورْتْ = محرم

6/ وِينْ المُولُودْ= صفر

7/ إِيكْنْ إِزْوَارْنْ = ربيع الأول

8/ وِسِّنْ إِيكْنْيُونْ = ربيع الثاني

9/ أَطْفَاس أَمْزْوَارُ= جمادى الأولى

10/ أَطْفَاس إِكْرانْ = جمادى الثانية

11/ وِينْ إِكْرَّامْنْ (أو أَكَرَّامْ) = رجب

/ 12 تَلْتْيُورْتْ = شعبان.

بعض مظاهر الاحتفال بالسنة الأمازيغية في مناطق عديدة من المغرب

رغم اختلاف طرق الاحتفال بهذه المناسبة في مناطق عديدة، إلا أن العائلات تشترك في اجتماع أفرادها حول مائدة عشاء يناير، الذي يبقى مناسبة تتوارثها الأجيال.

واحتفال المغاربة بالسنة الفلاحية، تعبير عن تشبثهم بالأرض، وخيراتها، ويتجلى ذلك في الطقوس المرتبطة بالاحتفال، حيث يتم بالمناسبة إعداد العديد من المأكولات، والوجبات التقليدية المتعارف عليها، والتي تختلف باختلاف المناطق وبأنواع المحصولات المنتجة بها من حبوب وخضر وغيرها، ويتم اعداد»إِمْنْسِي» أي العشاء احتفاءً بالسنة الأمازيغية، كما أن الطعام الذي يقدم، يجب أن يشكل رمزا، لغنى وخصوبة ووفرة المحصول.

ومن مظاهر الطقوس بهذه المناسبة لدى قبائل أيت مزال: يتكون الطبق الذي تعده النساء، خصيصا بهذه المناسبة «رأس السنة الأمازيغية» من العصيدة (تاكَلا) وقبل تناوله يوضع في القدر، فِلْسْ ونَوَى تمر وجزء من قشرة شجرة أركَان (إركـَ - ن – وركَان)، لاعتقادهم أن من وجد في لقمته أثناء الأكل –ذلك الفلس فإن مآله الغنى. أما من كان في حظه أن يجد فيها النوى فإنه ستكون له ماشية كثيرة، في حين من وجد فيها ذلك الجزء من قشرة أركَان فإن مصيره الفقر. وفي أعالي سوس تسمى هذه الأكلة بركوكس.[5]

5- الرواية الشفوية في مناطق الجنوب.

وفي طقوس الاستعداد التي تباشرها القبائل الأطلسية، لاستقبال هذا اليوم الجديد «إِخْفْ نُ وُسْكَاسْ» اجتماع نسوة العائلات، وقيامهن بتهيئ الكسكس بطريقة تقليدية يسمى «طْعَام نُ فُوسْ»، وتتكون عناصره من دقيق القمح أو الشعير والماء والملح، ويتم إعداده من جميع أنواع الحبوب المعروفة في المنطقة، تيمنا بسنة فلاحية جيدة وتتكون وسائل الإعداد من الغربال و«أكَرا» أي الكسكاس المصنوع من الطين و«اسمسل» وإناء معدني يسمى بالأمازيغية لدى قبائل الأطلس «أيت يحيى» «تاسيلت نْ سبْعْمعَاد».

فتاة من الأطلس المتوسط بلباس تقليدي تحتفل بالسنة الأمازيغية

كما أن هذه المناسبة تعد فرصة لإقامة عشاء «إِمْنْسِي» خاص، ويتمثل في طبق الكسكس، ويحتوي على سبعة أنواع من الخضر، إضافة إلى تمرة واحدة، ويكون سعيد الطالع «أنبارش» من وجد نوى الثمرة أثناء تناول العشاء، ومن العادات الأطلسية كذلك، أن الفتيات تتبادل المتمنيات بمناسبة السنة الجديدة: كأن يجدن في الحياة الكثير من الأشياء المفضلة، ولو بشكل بسيط، والتي يمكن أن تضفي على حياتهن الكثير من البهجة والحبور.

ومن العادات التي تباشر بهذه المناسبة في بعض مناطق سوس، إعداد عصيدة يناير (تكَلا ن يناير): وهي عبارة عن احتفال برأس السنة بواسطة وجبة عصيدة، تتعشى بها كل أسرة ليلة فاتح يناير، وتكون العصيدة محشوة بحبات أركَان (أقاين)، أو عجمات التمر (أغرمي)، ويتفاءل الآكل بمصادفته هذه الحبات، ويستقرئ حظه من خلال عددها.

وتعد النساء وجبة من الكسكس بسبع خضر والبسيس وأُورْكِيمَنْ، وهو عبارة عن خليط من القطاني وبركوكس وهو عبارة عن طحين، يخلط ويفتل بالماء، ويمزج بعد ذلك بزيت أركَان والعسل وأملو وغيرها.

وتعتبر «تاكْلاَّ» العصيدة، الأكلة المميزة وذات الرمزية العميقة في الثقافة الأمازيغية، والتي يتم إعدادها بمناسبة رأس السنة الأمازيغية منذ القدم، هذه الأكلة التي تبرز مدى تشبث إنسان تامزغا بالأرض، وجرت العادة منذ القديم، أن تناول هذه الوجبة في هذه المناسبة يكون مصحوبا بطقوس ثقافية، من أهمها أنه يتم إختيار رجل أو إمرأة السنة، صاحب الحظ السعيد، والذي يجد أثناء الأكل «أغورمي» وهو بدرة تمر يتم إخفاؤها في الطبق المعد.

وبخصوص منطقة الريف، وبحسب الباحثة بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية الأستاذة علاش صباح، فإن طقوس الاحتفال بالسنة الأمازيغية الجديدة تختلف من قبيلة لأخرى، ففي قبيلة آيت ورياغل، وتمسمان، وآيت ولشك وآيت توزين وإقرعيين وآيت سعيد..... فإن عادات الاحتفال تكاد تكون متشابهة، إذ يتم توفير بعض الفواكه الجافة، وإعداد وجبات من الحبوب والقطاني، مثل ثِيغْوَاوِينْ ⵜⵉⵖⵡⴰⵡⵉⵏ أوثِيمُويَازْ ⵜⵉⵎⵓⵢⴰⵣ. يتم إعدادها بتحميص القمح أو الشعير، كما يتم إعداد وجبة إِمْشْيَاخْ ⵉⵎⵛⵢⴰⵅ، التي تجمع بين القطاني والحبوب وخاصة الذرة والقمح بإضافة الثوم، كما يتم إعداد البقول أو إغديون ⵉⵖⴷⴷⵉⵡⵏ ثيبي ⵜⵉⴱⴱⵉ حسب إقرعيين. كما يتم إعداد الفطائر ثاغفين أو رَمْسْمّنْ ⵕⵎⵙⵙ / ⵜⴰⵖⴼⵉⵏ.

ويتم تقطيع مختلف الرغايف ورمسمن في ثَاحْبيثْ ⵜⴰⵃⴱⴱⵉⵜ أو صحن كبير، لإعداد أرفيس ⴰⵔⴼⵉⵙ ويصب عليه الدجاج الذي يتم طبخه في المرق دون فواكه.

أما في قبيلة بقيوة أو إبقوين، فيخصص يومين للاحتفال بقدوم السنة الجديدة الأمازيغية، ففي اليوم الأول تعد الأطباق المصنوعة من الحلفاء وتملأ بجميع الفواكه الجافة التي يملكونها أو يعمدون لشرائها من السوق مثل اللوز، ثيمويار، ثزارت يوزغن، زبيب، رحمص، إبآوْنْ (الفول) وتقوم النساء بصنع فطائر، ويتم توزيع كل من الفواكه الجافة والفطائرعلى الأطفال أما بالنسبة لليوم الثاني تقوم النساء بإعداد وجبة عشاء مميزة غالبا ما تكون عبارة عن دجاج بلدي.

طبق خاص بمناسبة الاحتفال بالسنة الأمازيغية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

أما ما يتعلق بطقوس الاستشراف بموسم فلاحي جيد، فيعمد السكان في بعض القبائل (آيت ورياغل مثلا) إلى ترك جزء من وجبة العشاء وتوزيعه على جميع أركان البيت تعبيرا لهم عن تقاسم ما تجود به الأرض خلال هذه السنة مع كائنات خفية أو قوى مباركة حسب إعتقاداتهم.

وفي منطقة فكَيك يتم تحضير ما يسمى ب «الكليلة»، وهو لبن يتم تجفيفه محليا في مواسم وفرة الحليب، إذ يحول إلى حبوب تشبه الحصى، وخلال احتفالات رأس السنة يصبون الماء على هاته الحبوب ويصنعون منها لبن الكليلة الذي يوزع على الضيوف وأفراد العائلة.

طبق خاص بمناسبة الاحتفال بالسنة الأمازيغية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

الصورة أخذت من موقع المعهد

في قبائل إيمغران وتدغة وأيت عطا، تقوم النساء بإعداد طبق كسكس يسقى من مرق مكون من اللحم وسبع خضر أو أكثر، يضعن فيه نوى تمر واحد، يعتقدن أن من يجد هذه النوى أثناء الأكل سيكون سعيدا ويعتبر المحظوظ والمبارك فيه خلال السنة. ومن الأقوال المأثورة أيضا عند سكان هذه القبائل أن من لم يشبع من الطعام في ليلة رأس السنة فإن الجوع سيطارده طيلة تلك السنة. ومن جملة هذه المعتقدات كذلك أنه إذا أمطرت السماء في تلك الليلة أو في اليوم الأول من السنة الجديدة، فإن الأمطار ستنزل بغزارة خلال هذه السنة وسيكون الموسم الفلاحي جيدا وتكون المحاصيل الزراعية مهمة.

أما في منطقة حاحا فإن النساء يقمن خلال ليلة رأس السنة بوضع ثلاث لقمات قبل النوم في سطوح المنازل، ورقم ثلاثة يرمز إلى الشهور الثلاثة الأولى من السنة: يناير، فبراير ومارس، واستدرارا للمطر يرشن من بعيد المكان الذي وضعت فيه اللقمات بشيء من الملح، وفي الغد يقمن بتفحص هذه اللقمات، ويعتقدن أن اللقمة التي سقط عليها الملح تحدد الشهر الذي سيكون ممطرا.

ومغاربيا تحتفل المجتمعات القبايلية بهذه المناسبة تبعا لعادات وتقاليد موروثة عن الأجداد تتزامن مع موسم الزرع، الحصاد، والجني الذي تطلق عليه أسماء عديدة ك: إملالن، سمايم نلخريف، أضرف 30، أضرف 90،... وتستقبل العائلات القبائلية هذه المناسبة بنحر الأضاحي وذلك بتقديم «أسفل» الذي يعني الأضحية والتي تختلف من عائلة لأخرى حسب إمكانياتها، حيث نجد عادات بعض قرى القبائل قائمة على ذبح ديك عن كل رجل ودجاجة عن كل امرأة، وديك ودجاجة معا عن كل امرأة حامل من العائلة[6]. وتقوم المرأة القبائلية بموازاة ذلك بتحضير مأكولات تقليدية مختلفة ومتنوعة يطلق عليها سكان منطقة القبائل إسم «إمنسي نيناير»، وذلك لما له من تأثير بالغ على العائلة ورزقها طوال أيام السنة الجديدة، حيث أن تنوع أطباق هذه المأكولات يوحي بكثرة الرزق والأرباح وجني محصول وفير.

ويلعب طبق الكسكس الذي لا يخلو أي بيت قبايلي منه، دورا رئيسيا في مائدة يناير مرفوقا بلحم الأضحية والخضر الجافة (المرق)، كما توضع إلى جانبه المأكولات التقليدية التي تكون أساسا من العجائن ك «الخفاف أو السفنج، المسمن، ثيغريفين» لما لها من معان وقوة التمسك بالموروث عن الأجداد.

طبق خاص بمناسبة الاحتفال بالسنة الأمازيغية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

6- الاحتفال بيناير في منطقة القبائل والأوراس... إصرار على التمسك بالتقاليد جريدة المواطن يوم 11 يناير 2011.

ومن العادات الأخرى السائدة في منطقة القبايل، حلق شعر المولود الذي يبلغ سنة من العمر عند حلول هذه المناسبة، حيث تخصص له أجمل الثياب ويوضع داخل (جفنة) كبيرة لترمى فوقه امرأة متقدمة في السن مزيجا من الحلويات والمكسرات والسكر والبيض.

وقد ربط الأمازيغ عاداتهم بالأرض، فمارسوها بشكل تلقائي، متبعين نظاما زمنيا دقيقا، يبتدئ في أول ليلة من السنة الفلاحية حيث تقام الحفلة، وذلك بتهييء تاكلا ن ءيض ن ءيناير، ويكتسي زمن إحياء هذه العادة بعدين اثنين:

- البعد الأول: ويبدو جليا من خلال ارتباط مكونات هذه العادة بالأرض، إذ هي بمثابة بداية السنة الفلاحية كما أسلفنا، والأكلة التي تقدم فيها تتكون من مواد لها مغزى، وهي مؤشر على حال مستقبل السنة.

- البعد الثاني: له ارتباط بتاريخ الأمازيغ الذي يبتدئ مؤقتا، في المصادر المكتوبة -خاصة منها ما كتبه الإغريق- مع اعتلاء أگليد (الملك) الأمازيغي شيشونغ العرش في مصر. وكان ذلك بعد تنحيته لآخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين، حيث انتصر شيشونغ على الملك رمسيس الثالث من أسرة الفراعنة بمصر في معركة دارت بين الطرفين سنة 950 ق م.

ومن جهة أخرى فقد ارتبط التقويم الأمازيغي في الثقافة الشعبية، بما هو أسطوري وبالمعتقدات الأمازيغية القديمة التي تحكى على أن امرأة عجوزا استهانت بقوى الطبيعة واغترت بنفسها وأرجعت صمودها في الشتاء القاسي إلى قوتها ولم تشكر السماء فغضب يناير رمز الخصوبة والزراعة منها ومن تصرفها فطلب من فورار»شهر فبراير» أن يقرضه يوما حتى يعاقب العجوز على جحودها فحدثت عاصفة شديدة أتت على خيرات أراضي تلك العجوز، ومنه تحول ذلك اليوم في الذاكرة الجماعية رمزا للعقاب الذي قد يحل بكل من سولت له نفسه الاستخفاف بالطبيعة. لذلك كان الأمازيغ يستحضرون يوم العجوز ويعتبرون يومها يوم حيطة وحذر، يتجنبون فيه الخروج للرعي والأعمال الزراعية وغيرها، مخافة من قوى الطبيعة، ويكرسون للاحتفال بالأرض وما يرتبط بها من الخيرات الطبيعية.

خـــــاتمة

ختاماً، يمكن القول أنه نظرا لقلة الأبحاث والكتابات التي تناولت هذا الموضوع بالبحث والتمحيص، فإن مجال البحث مدعو إلى التنقيب الأنتروبولوجي وكذا الأثري، لتوضيح الرؤية وإضاءة هذا الموضوع بمزيد من المعلومات الشافية والكافية، لتفسير هذه الظاهرة المرتبطة بشمال افريقيا، وخاصة لدى القبائل الأمازيغية. وبما أن رأس السنة الأمازيغية يعد أحد أهم الطقوس الاحتفالية الأمازيغية ببلدان شمال إفريقيا فينبغي أن تتضافر الجهود لتصنيفه تراثا لا ماديا عالميا، كما يتحتم تضافر الجهود من قبل جمعيات المجتمع المدني العاملة في مجال النهوض بالثقافة الأمازيغية، وكل مهتم بالثقافة الشفهية قصد رصد جميع المعلومات المتعلقة بهذه الطقوس الاحتفالية التي تميز استقبال السنة الأمازيغية الجديدة في جميع مناطق المغرب. وأسْگَاسْ أنبارْشْ إسْعْدَنْ إصبْحانْ إفُولْكِينْ بمناسبة حلول هذه المناسبة.

اليوم العالمي للغة الأم

اللغة هي نافذة الإنسان على ذاته وعلى العالم، وهي التي تمنحه الخصوصية والذاكرة والثقافة بمفهومها الحضاري. كما تعد اللغة أداة التواصل ووسيلة التفاعل بين الشعوب والأجناس المختلفة، إضافة إلى أنها بمثابة الضامن الأساس في الحفاظ على جزء كبير من التراث الثقافي لكل الأمم والشعوب لكونها مصدرا وناقلا للمعارف والمهارات المتوارثة عبر الأجيال خاصة ما يتعلق بالموروث الشفاهي وغير المدون. وما احتفال العالم في 21 فبراير من كل سنة بلغة الأم التي تحمل قيم الجماعات وهوياتها إلا تدعيما للتنوع اللغوي والتعدد الثقافي على اعتبار أن مفهومي لغة الأم والتعدد اللغوي مفهومان متلازمان.

ملصق خاص بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للغة الأم من موقع اليونسكو

https://langmusecad.wordpress.com/2015/02/27/la-journée-internationale-de-la-langue-maternelle/

وتحظى لغة الأم باهتمام متزايد في الأوساط الدولية ولدى كافة شعوب الأرض، وذلك لوجود روابط وجدانية قوية تربط الأجيال المتعاقبة باللغة التي نطقوا بها كلماتهم الأولى، والتي يتم بها صقل شخصياتهم الفردية وتكوين ملكاتهم الذهنية ومختلف مهاراتهم الأولى منذ الطفولة المبكرة، وهو ما يجعل منها اللغة التي يعبر من خلالها المرء طوال حياته عن مشاعره الحميمية وعن ذاته كما هي في صميم وجودها، كما يكون بها أفكاره ويكتسب بها زاده الثقافي الذي ينمو يوما بعد يوم. وحتى في اللحظات العصيبة فإن النطق بالكلمات يتم باللغة الأم التي تظل صورة للتعبير الصادق. وعندما يتعلم المرء لغة أو لغات أخرى في المدرسة أو في الشارع أو في أي وسط مغاير، فإن لغة الأم تظل هي لغة الحميمية الذاتية والصدق مع النفس، باعتبارها المدرسة الأولى التي ترسخ لدينا شعورنا بالانتماء إلى هوية ثقافية، وتجعلنا نحترم جذورنا كما نحترم لغات الآخرين.

ومن جانب آخر تعتبر اللغة الأم محركا أساسيا لكل أشكال التنمية البشرية باعتبارها الوسيلة الأمثل لإدماج الأفراد في كافة المشاريع والبرامج التي تستوجب الانخراط الكلي للمعنيين بالأمر في وضع الأفكار واستغلال المعارف المحلية في تنفيذ تلك البرامج.

وباعتبار اللغة الأمازيغية مكونا أساسيا للثقافة المغربية وعنصر خصوصية وتميز ضارب بجذوره في تاريخ الحضارة المغربية فإنها بمثابة لغة الأم بالنسبة لمعظم المغاربة ومصدر افتخار لهم. وإذا كانت هذه اللغة قد تعرضت لبعض مظاهر التهميش على مدى نصف قرن من الاستقلال، فإن السياق الجديد الذي انطلق مع الخطاب الملكي السامي بأجدير في 17 أكتوبر 2001 قد عرف سياسة جديدة ترمي إلى النهوض بها وتمكينها من القيام بوظائفها التواصلية والتنموية، وهو ما جعل الشعور بالإعتزاز يتقوى لدى العديد من الناطقين بهذه اللغة، أن يروها تحظى بمكانتها التي تستحق في التعليم وفي وسائل الإعلام رغم كل الصعوبات التي تعترض تعميمها، كما أصبحنا نقرأ نتاجات أدبية منشورة بلغتنا الأم وهذا دليل على حيوية هذه اللغة وتمسكها بالبقاء في الوقت الذي انقرضت فيه العديد من اللغات القديمة التي كانت معاصرة لها كالفرعونية واللاتينية والفينيقية وغيرها.

وهذه السنة أي 2012 يحتفل باليوم الدولي أو العالمي للّغة الأم تحت شعار «سعيا لتعلم اللغة الأم... فى سبيل تحقيق التعليم الجامع» بهدف العمل على صون وتعزيز اللغات والتنوع اللغوي. وتمثل قضايا التنوع الثقافى والحوار بين الثقافات وتعزيز التعليم للجميع وتنمية مجتمعات المعرفة محاور مركزية فى عمل منظمة اليونسكو، ولكن يستحيل السير قدما فى هذه المجالات بدون توفير التزام واسع ودولى بتعزيز التعدد اللغوى والتنوع اللغوى، بما فى ذلك صون اللغات المهددة.

ودعت إيرينا بوكوفا المديرة العامة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو» - فى رسالتها بهذه المناسبة - اليونسكو إلى تعبئة طاقاتها لحماية التنوع اللغوى فى العالم، واستغلال التعدد اللغوى إلى تحقيق التعليم الجامع، فقد أثبتت أعمال الباحثين وآثار سياسات دعم التعدد اللغوى ما تدركه جماعات البشر بالفطرة، وهو أن التنوع اللغوى يسرع وتيرة تحقيق الأهداف الانمائية للألفية، ولا سيما أهداف برامج التعليم للجميع.

وقالت إيرينا بوكوفا المديرة العامة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو» إن استخدام اللغة الأم فى المدرسة يمثل علاجا قويا لمكافحة الأمية، ولكن تحويل هذه الحقيقة إلى واقع فى الصف الدراسى يمثل تحديا، موضحة أن السكان المستبعدين كالشعوب الأصلية[1] هم غالبا الذين تهمل لغاتهم الأم فى النظم التعليمية، فإذا ما أتيح لهم التعلم منذ نعومة أظفارهم بلغتهم الأم، ثم بلغات أخرى وطنية أو رسمية أو غير ذلك، فإن ذلك الأمر يمثل تعزيزا للمساواة وللدمج الاجتماعي.

وأشارت بوكوفا إلى أن استخدام تكنولوجيات الأجهزة المحمولة فى التعليم يمثل عاملا محفزا للتعليم الجامع إذا ما إقترنت هذه التكنولوجيات بالتعدد اللغوى، وهى أيضا تضاعف قدرتنا على العمل عشرات المرات، حيث يجب علينا الاستفادة من تلك التكنولوجيات إلى أقصى حد ممكن.

1- الموقع الإلكتروني لجريدة الأهرام المصرية 19 فبراير 2012.

ولفتت إلى أن ما يقارب نصف اللغات المحكية فى العالم التى يزيد عددها عن آلاف لغة يمكن أن تندثر قبل نهاية هذا القرن، حيث يمثل أطلس لغات العالم المهددة بالاندثار الذى أعدته اليونسكو الدليل الذى يسترشد به فى هذا الاتجاه.

وكما أكدت عليه المديرة العامة لليونسكو، السيدة إيرينا بوكوفا، 'كل لغة تُعد مصدراً فريداً للمعاني اللازمة لفهم الواقع والتعبير'، واليوم الدولي للّغة الأم هو فرصة للاعتراف بأهمية هذه اللغات ولتعبئة الدعم لتعدد اللغات والتنوع اللغوي.

وتدعو إيرينا بوكوفا المديرة العامة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو» - فى رسائلها بهذه المناسبة[2]- اليونسكو إلى تعبئة طاقاتها لحماية التنوع اللغوى فى العالم ، واستغلال التعدد اللغوى لتحقيق التعليم الجامع ، فقد أثبتت أعمال الباحثين وآثار سياسات دعم التعدد اللغوى ما تدركه جماعات البشر بالفطرة، وهو أن التنوع اللغوي يسرع وتيرة تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية، ولا سيما أهداف برامج التعليم للجميع.

صورة من موقع المعهد تبرز احتفال المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية باليوم العالمي للغة الأم

وتضيف بوكوفا «أن استخدام تكنولوجيات الأجهزة المحمولة في التعليم يمثل عاملا محفزا للتعليم الجامع إذا ما اقترنت هذه التكنولوجيات بالتعدد اللغوى، وهى أيضا تضاعف قدرتنا على العمل عشرات المرات، حيث يجب علينا الاستفادة من تلك

2- الموقع الإلكتروني لليونسكو http://www.unesco.org

التكنولوجيات إلى أقصى حد ممكن». وتابعت أن استخدام اللغة الأم في المدرسة يمثل علاجا قويا لمكافحة الأمية ولكن تحويل هذه الحقيقة إلى واقع في الصف الدراسي يمثل تحديا، موضحة أن السكان المستبعدين كالشعوب الأصلية هم غالبا الذين تهمل لغاتهم الأم في النظم التعليمية .ودعت إلى تعبئة وحشد كل الطاقات لحماية التنوع اللغوي في العالم واستغلال التعدد اللغوي لتحقيق تنمية مستدامة.

إن التعليم باللغة الأم يمثل قوة تدفع عجلة التعلّم الجيد، كما يشكل عنصرا أساسيا في تعزيز التعدد اللغوي واحترام التنوع اللغوي والثقافي في كل المجتمعات.

وبخصوص خطة اليونسكو ما بعد 2015، فتتمركز حول أولوية النهوض بالتعليم الجيد للجميع، وذلك بتوسيع خطة الانتفاع بقطاع التعليم، وضمان جودته وشموليته، وتعزيز التعليم الموجه نحو تحقيق المواطنة والتنمية المستدامة. ويمثل التعليم باستخدام اللغة الأم عنصرا رئيسيا في تحقيق هذه الأهداف.

وتنظم اليونسكو الاحتفال باليوم العالمي للغة الأم لعام 2017 تحت عنوان «نحو مستقبل مستدام بفضل التعليم متعدد اللغات»، كما أن هذا اليوم يتماشى مع موضوع تقرير اليونسكو العالمي لرصد التعليم لعام 2016 آلا وهو «التعليم من أجل الناس والكوكب، بناء مستقبل مستدام للجميع». ويدعم الاحتفال باليوم العالمي للغة الأم الهدف 4.6 من أهداف التنمية المستدامة الذي ينص على «ضمان أن تلمّ بالقراءة والكتابة والحساب نسبة كبيرة من الشباب من الكبار، رجالاً ونساء على حد سواء، بحلول عام 2030».[3]

ومنذ سنة 2000 تحتفل اليونسكو باليوم العالمي أو الدولي للغة الأم الذي يحتفى به يوم 21 فبراير من كل سنة وهو مناسبة تطرح على المغاربة تحدي بذل المزيد من الجهود للحفاظ على لغتهم الأم، لأنهم بذلك يحافظون على التنوع اللغوي عن طريق العناية بكل لغاتنا التي تعد مظهر غنى وثراء، خاصة وأن الخبراء يشيرون إلى أن العولمة الكاسحة تهدد 600 لغة في عالم اليوم بالإندثار، لأن أهلها غير قادرين على حمايتها.

3- موقع اليونسكو

ومن جهة أخرى هناك لغات لا يتحدث بها سوى أعداد بسيطة جدا، تقل عن عشرة أشخاص أحيانا، وربما عن خمسة، وهي لغات رسمية ومعروفة، لكنها لظروف معينة وخاصة، غير منتشرة كغيرها من اللغات، بل إن أغلبها في طريق الانقراض، بحسب دراسات وبحوث من طرف جمعيات ومؤسسات رسمية ك «اليونسكو» ومن هذه اللغات التي لا يستخدمها سوى أقل من عشرة أشخاص: وهي:

لغة «شيميهوفي»، وهي لغة يتحدث بها ثلاثة أشخاص فقط ويتعدى جميعهم سن الأربعين، يعيش هؤلاء على ضفاف نهر كولادو بالولايات المتحدة الأمريكية وتعتبر هذه اللغة واحدة من 139 لغة محلية مهددة بالانقراض. ولغة «شاميكورو»، هذه اللغة يتحدث بها ثمانية أشخاص فقط، وهي اللغة المستخدمة في لاغوناس بدولة البيرو، وأغلب المتحدثين بها من المسنين، وهم السكان الأصليين بالمنطقة، ولا يوجد أطفال يتحدثون بها. ولغة «تانيما»، يستخدمها ويتكلم بها أربعة أشخاص فقط ويتواجدون بجزر سليمان التي تقع جنوب المحيط الهادي، وتعد هذه اللغة من أندر اللغات ولغة «ليميرج» وهي اللغة التي يتحدث بها سكان جزيرة فانواتو، التي تقع جنوب المحيط الهادي، وعلى بعد شواطئ استراليا، ولا يستطيع نطقها بطلاقة سوى شخصين، ثم لغة «ليكي، وهي اللغة التي لا يتحدث بها سوى خمسة أشخاص، قرب سواحل إندونسيا وتعد من اللغات المهددة بالانقراض، إضافة إلى لغات «أنجوتا»، ويتحدث بها 6 أشخاص وتستخدم في إحدى القرى الإثيوبية وجميع من يجيدون التحدث بها من المسنين، مما يجعلها ضمن اللغات شبه المنقرضة، لكن أحد أساتذة جامعة أديس أبابا يسابق الزمن من أجل توثيق هذه اللغة، وجمع كلماتها المهددة بالانقراض، أملا في إعادة الحياة لها مستقبلا. وهناك كذلك لغة «دومي» فتستخدم في بعض قرى وجبال شرق نيبال في آسيا ولا يتحدث بها سوي ثمانية أشخاص ولغة «نجريب» فقد سادت هذه اللغة في العصور القديمة في كل من الكاميرون ونيجيريا، لكنها انقرضت في الكاميرون ولازال يتحدث بها أربعة أشخاص في نيجيريا وأغلبهم من المسنين، ثم هناك لغة «تاوشيرو» تعد هذه اللغة لغة منقرضة وعدد الأشخاص الذين يتحدثون بها لا يزيد عن عشرة أشخاص، وفي دراسة صدرت عام 2008، اتضح أن شخصا واحدا فقط من بين هؤلاء يتحدث بها بطلاقة وتوجد هذه اللغة بيرو.

إذا كانت اللغة الرئيسة في البرازيل هي البرتغالية، فإن هناك عدد كثير من لغات السكان الأصليين، ومن هذه اللغات لغة «كيسكانا» ويتحدث بها مائتا شخص فقط من سكان إحدى القرى الواقعة على ضفاف نهر جابورا ويقطنها بعض السكان الأصليين وتعد هذه اللغة من أندر لغات العالم المهددة بالانقراض[1].

ومن جهة أخرى فالتعدد اللغوي يظل اليوم مثالاً منشوداً أكثر منه حقيقة ملموسة. بحيث تشير إحصاءات منظمة "اليونسكو" إلى أن أكثر من 50 % من الستة آلاف لغة المستخدمة في العالم، والتي تعتبر وسائل لنقل الذاكرة الجماعية والتراث غير المادي مهددة بالاندثار. و96 % من هذه اللغات لا يستخدمها سوى 4 % من سكان العالم. و90 % من لغات العالم ليست ممثلة بالشبكة العنكبوتية، و80 % من لغات إفريقيا ليست لها أبجدية كتابية، وأن هناك لغة واحدة تتوارى كل 15 يوما. ومن جهة أخرى، فمن أصل 6000 لغة متداولة في العالم، انقرضت نحو 200 لغة على مدى الأجيال الثلاثة الأخيرة، في حين تعتبر 573 لغة أخرى من اللغات المحتضرة، و502 لغة من اللغات المعرضة للخطر الشديد، و632 من اللغات المعرضة للخطر، و607 من اللغات الهشة. وحسب منظمة اليونسكو فإن "معظم هذه اللغات لا تستخدم على الإطلاق في المدرسة أو الإدارة أو القضاء أو الصحافة بالرغم من أن السكان يتقنونها تماماً نظراً لأنها تشكل وسيلة التعبير التي يستخدمونها في حياتهم اليومية. ولذلك يسعى الاتحاد الافريقي، الذي يعتبر اللغات إحدى الركائز لتحقيق التكامل في هذه القارة، إلى وضع خطة إقليمية للنهوض باللغات من شأنها أن توفق بين ما هو محلي وما هو عالمي لمصلحة الجميع."

وقد أدرجت اللغة الأمازيغية بوصفها لغة الأم بالمغرب، في النظام التربوي منذ 2003، وذلك في إطار مشروع المصالحة الوطنية الذي يهدف إلى إنصاف كل المكونات السياسية والثقافية بالمغرب.

وسعيا إلى تكريس شعار اليونسكو لهذه السنة «تعلم اللغة الأم.. في سبيل تحقيق التعليم الجامع» سيكون على القيّمين على التعليم بالمغرب أن يعملوا على إنجاح تعميم

1- لغات يستخدمها عشرة أشخاص! أكثرها ندرة وقابلية للانقراض مجلة سيدتي العدد 1749 (2014) ص(74 - 76).

تعليم اللغة الأمازيغية أفقيا في مجموع التراب الوطني، وعموديا على كل أسلاك التعليم من الابتدائي إلى العالي، وذلك لتتمكن هذه اللغة من لعب دورها كاملا في الحياة العامة والمشروع التنموي الوطني.

ولقد دأب المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية على أن يحتفل باليوم الدولي للغة الأم، تبعا لمهامه المتمثلة أساسا في الحماية والنهوض باللغة الأمازيغية، ونظرا لأهمية الحدث في الدعوة للنهوض بالتنوع اللغوي والثقافي في العالم، ينظم المعهد كل سنة بتعاون مع مكتب اليونسكو ندوات ولقاءات علمية تكريسا لمبدأ ترسيم اللغة الأمازيغية دعماً للوحدة في التنوع بالمغرب.

ويجسد هذا التوجه الذي دشنه المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مقاربة جديدة وطموحة، تؤكد على أن العناية باللغات ببلادنا من شأنه أن يوفر الأرضية المناسبة والمحفزة لتحقيق التنمية المستدامة المنشودة، على اعتبار أن اللغات تضطلع بدور حيوي في هذه التنمية، وتساهم في بناء مجتمعات المعرفة الشاملة وحفظ التراث الثقافي.

وهكذا يمكن القول، إنه بات من الضروري الدفاع عن لغة الأم من أجل الحفاظ على التنوع اللغوي للاعتراف بمجمل الإرث الثقافي والحضاري للمغرب باعتباره تقوية لوحدته وتعزيزا لهويته. كما وجب الجزم بأن الحفاظ على لغة الأم يعد مرجعية أساسية لصياغة الهوية الحضارية لبلدنا وخلق مجال مشترك لتعدد ثقافي يرتكز على قيم المساواة والعدل، في إطار الوحدة الوطنية ومن أجل مجتمع منفتح غير متنكر لهويته.

اليوم العالمي للكتاب: أي دور للكتاب الأمازيغي في الحفاظ على الثقافة الأمازيغية

قال أبو الطيب المتنبي: «أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَى سَرْجُ سَابِحٍ... وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ».

إن مستقبل الكتاب، بوصفه عنصراً ثقافياً، جزء لا يتجزأ من دور الثقافة في النهوض بسبل أشمل وتحقيق تنمية شاملة.

ويعتبر الكتاب خير وسيط لحرية التعبير وحرية تداول المعلومات، وهما أمران يكتسيان أهمية حاسمة بالنسبة إلى جميع المجتمعات.

واحتفالا بالكتاب تم اختيار 23 أبريل من كل سنة تاريخًا رمزياً في عالم الأدب العالمي، ففي هذا اليوم تحتفل اليونسكو باليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف، وذلك من أجل تعزيز القراءة ونشر الكتب وحماية الملكية الفكرية. ففي هذا التاريخ من عام 1616، توفي كل من ميغيل دي سرفانتس ووليم شكسبير والاينكا غارسيلاسودي لافيغا. كما يصادف يوم 23 أبريل ذكرى ميلاد أو وفاة عدد من الأدباء المرموقين.

وقد دعت المديرة العامة لليونسكو السيدة إيرينا بوكوفا في كلمتها بالمناسبة، إلى التعبئة حول الكتاب ومساندة أولئك الذين يعيشون من دخله من الكُتاب والمبدعين وأولئك الذين يبثون الحياة فيه.

كما تم وضع اليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف تحت شعار «الترجمة» لأنها بالإضافة إلى كونها الخطوة الأولى نحو تقارب الشعوب فإنها تشكل عامل إثراء لكل لغة فهذه السنة تصادف ذكرى مرور ثمانين عاماً على إنشاء «فهرس الترجمات» الذي يعد الدليل العالمي للترجمة الذي تديره اليونسكو، حيث يمثل هذا الدليل أداة عظيمة لنشر ورصد المؤلفات الثقافية العالمية المتدفقة.

كما يحتفل باليوم العالمي للكتاب نظرا للدور الذي يلعبه هذا الأخير في نقل ثقافة الشعوب وأحلامهم بمستقبل أفضل جيلاً بعد جيل. إضافة إلى كون هذه المناسبة فرصةً سانحةً لوضع استراتيجية لنشر ثقافة النص المكتوب.

وإذا كان الكتاب الرقمي يتيح فرصاً جديدة للانتفاع بالمعارف بتكلفة منخفضة على مساحات واسعة. فإن الكتاب التقليدي يظل أداة قوية وكنزا ثمينا يتيح توفير فرص التعليم ونشر الثقافة.

ونحن نحتفل بالكتاب في مفهومه الكوني، يجدر بنا، أن نشير إلى أن الكتاب الأمازيغي، ارتبط في ظهوره بسياق حديث عرفه المغرب، هذا السياق جعل الثقافة الأمازيغية التي كانت شفهية مع وجود كتابات قليلة، تدخل تحدي كسب رهان الحفاظ على وجودها، كلغة أمام لغات وثقافات قوية تحظى بمكانة متميزة داخل مؤسسات الدولة وخاصة منها المؤسسات الإعلامية والتربوية، مما وضعها في منعطف تاريخي حاسم، كانت فيه مرغمة على أن تختار بين الاستمرار في الحياة، أو الإمحاء التدريجي الذي يعرضها لمصير اللغات القديمة التي عاصرتها في غابر الأزمان، كالفرعونية والفينيقية واللاتينية.

لقد كانت انطلاقة الكتاب الأمازيغي مع خطوة تدوين الموروث الشفوي، الشعري منه خاصة، حيث صدر عام 1968 ديوان «أمانار» الذي ضم منتخبات من روائع الشعر التقليدي الأمازيغي، جمعها الإعلامي الأمازيغي الكبير الراحل «أحمد أمزال»، وأمنار كلمة أمازيغية مفردة، تجمع على «ثمانارن» وتعني تلك الكوكبة من النجوم الساطعة في كبد الليل والتي لا يضمحل ضوءها إلا بعد طلوع ضوء الشمس، وترشد المسافرين لمعرفة وجهتهم ليلا. ويعد «أمانار» من اللبنات الأولى أو حجر الأساس في محطة تدوين الشعر الأمازيغي بالمغرب. وتعتبر هذه المبادرة التي قام بها الراحل «أحمد أمزال» سابقة مهمة لعاملين أساسيين أولهما : لانعدام أي مطبوع في الساحة الثقافية المغربية وقتذاك، يضم مادة إبداعية باللغة الأمازيغية.

2

ديوان أمانار الذي تمت طباعته في يونيو 1968م عن المطبعة المركزية بالرباط،
الديوان الذي جمعه الدارس أحمد أمزال

وثانيهما: لكون هذا الديوان أول كتاب يصدر باللغة الأمازيغية خارج السياق الثقافي التقليدي الذي اشتغل فيه الفقهاء. وقد صدر أول ديوان شعري حديث للكاتب والشاعر محمد مستاوي سنة 1976، وخلال السبعينات والثمانينيات من القرن الماضي لم يعرف الكتاب الأمازيغي أي تطور نتيجة التهميش الذي عاشته الثقافة الأمازيغية في تلك الفترة.

وخلال التسعينيات عرف الكتاب الأمازيغي قفزة نوعية حيث تزايد عدد الإصدارات الإبداعية، وكذا الدراسات التي كانت باللغتين العربية والفرنسية، وبشكل نضالي، وتطورت بشكل كبير أساليب إبداعية في الأمازيغية لتشمل أجناس أدبية أخرى كالرواية والقصة القصيرة وغيرها، وحقق الكتاب الأمازيغي تراكما لا بأس به في الساحة الوطنية خصوصا عند انتعاش الترجمة من لغات أخرى إلى الأمازيغية.

2- صورة من http://tirrawal.canalblog.com/archives/2012/03/28/23974380.html.

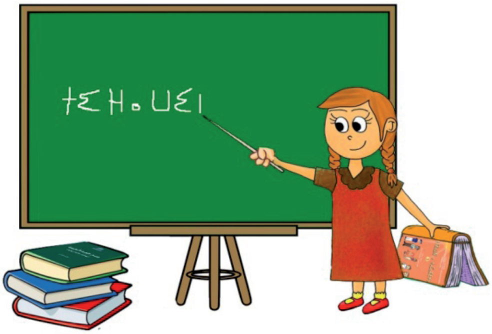

ولقد ساهم الكتاب الأمازيغي في تطوير الثقافة واللغة الأمازيغيتين وذلك بفضل تراكم جهود المبدعين من شعراء وفاعلين جمعويين الذين جعلوا من خير جليس جسرا للتواصل وإسماع صوتهم وذلك بالتحسيس بدور الأمازيغية في بناء الهوية الوطنية المتعددة الروافد.

ومنذ إحداث المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سنة 2001، شهدت حركة الإنتاج الأدبي والكتابة باللغة الأمازيغية، تطورا ملحوظا، بفضل منشورات المعهد، وكذا الإجراءات التحفيزية التي يقوم بها لتشجيع المبدعين الشباب، والتي تعدّ رهانا أساسيا لإنجاح مشاريع مهمة، عن طريق التعاقد و طبع الكتاب الأول للكُتاب، الذين لم يسبق لهم أن نشروا إنتاجاتهم الإبداعية أو العلمية.

وتحت شعار «الكتاب دعامة رئيسية للنهوض بالثقافة والحفاظ على الموروث الثقافي»، أعطى المعهد أولوية كبرى ضمن استراتيجيته واستطاع في ظرف وجيز أن يصدر إلى حدود سنة 2015، ما يقارب أكثر من المائتي إصدار، أي بمعدل أربعين مؤلفا في السنة. وشملت هذه المؤلفات، دواوين شعرية، ومعاجم، وحكايات بالأمازيغية للأطفال، ودراسات، وكتب بيداغوجية وأعمال ندوات. كما أن إصدارات المؤسسة تغطي مختلف حقول المعرفية من لغة، وتربية، وآداب، وتاريخ، وأنتروبولوجيا، وترجمة، ومعلوميات إضافة إلى المجلة العلمية أسيناگ asinag ودورية إخبارية «إنغميسن» سنوية. كما تأتي هذه الأعمال المنشورة لتساهم في إغناء المكتبة الوطنية عامة والمكتبة الأمازيغية على وجه الخصوص، وجعل المعهد قطبا مرجعيا في الثقافة الأمازيغية.

وعملت هذه المؤسسة الأكاديمية على ترجمة أعمال ومؤلفات من اللغات العالمية الأساسية، لإغناء اللغة الأمازيغية، سواء على مستوى المعجم أو غيره من المستويات اللغوية والثقافية الأخرى، وفيما يخص الترجمة الإغنائية، فهي ضمان التواصل الثقافي مع باقي التجارب الإنسانية، التي تعبّر عنها مختلف الأعمال والمؤلفات المترجمة إلى اللغة الأمازيغية. ونظرا لأهمية الترجمة الإغنائية في المرحلة الراهنة، فقد أعطيت لها أولوية كبرى قصد المساهمة في إدماج الأمازيغية في المنظومة التعليمية والثقافية، من خلال توفير المادّة المقروءة، وتسريع عملية الانتقال من الشفاهة إلى الكتابة.

واحتفاء بالكتاب، شارك المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في فعاليات التظاهرة، التي نظمتها وزارة الثقافة بمدينة مراكش، بشراكة مع منظمة اليونسكو وبتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية لجامعة القاضي عياض بمراكش، ودار النشر آفاق، والمعهد الفرنسي تحت شعار «الكتاب، الترجمة وحقوق المؤلف» في 21 أبريل 2012، حيث ساهم مدير مركز الترجمة بمداخلة تحت عنوان «دور الترجمة والكتاب في تنمية اللغة الأمازيغية» وقد نظمت بالمناسبة جائزة الترجمة لصالح الشباب.

وجدير بالإشارة إلى أن الكتاب الأمازيغي يعرف بالمهجر انتعاشاً ملحوظاً، مع ظهور جيل جديد من الكتاب الشباب في أوساط الجالية المغربية، وخاصة بهولندا وبلجيكا وفرنسا. وتتميز إصدارات الكتاب الأمازيغي بالمهجر، بالتركيز على قضايا الجالية الأمازيغية خصوصا، والمغربية عموما، وخاصة إشكالية الهوية والانتماء، حيث تعكس الدواوين الشعرية والروايات والقصص الصادرة عن مبدعي الجالية، ارتباطاً قوياً بالهوية الأمازيغية، وانشغالا بهموم الجالية، كالإندماج والحقوق الاجتماعية والثقافية.

فبعد 12 سنة على انطلاق اليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف، أعلنت العاصمة الإسبانية مدريد عاصمة عالمية للكتاب. وتلتها الإسكندرية (مصر 2002)، ونيودلهي (الهند 2003)، وأنفير (بلجيكا 2004)، ومونتريال (كندا 2005)، وتورينو (إيطاليا 2006)، وتم اختيار بوغوتا (كولومبيا) لسنة 2012. وجرى اختيار أمستردام (هولندا) للعام 2008، وبيروت 2009، ويوبليانا 2010، وبوينس آيريس 2011، ويريفان 2012، وبانكوك 2013، وبورت هاركورت 2014. وتم تسمية مدينة إنشيون في جمهورية كوريا عاصمة عالمية

للكتاب لعام 2015، وفروتسواف (2016)، وكوناكرى (2017). وقد تم اختيار هذه المدن لاعتبارات منها الجودة الاستثنائية لبرنامج الأنشطة، الذى وضعته والمدعوم من قبل جميع الجهات الفاعلة فى مجال الكتاب، حيث تتضمن الأنشطة المقترحة مجموعة من اللقاءات مع الكتاب والمترجمين والمصورين، إضافة إلى مجموعة من الحفلات الموسيقية والمعارض الموضوعية والجلسات الشعرية وورشات عمل مخصصة للعاملين فى مجال النشر. وتعد مدينة أثينا، المدينة الـ18، التى تحظى بلقب العاصمة العالمية للكتاب في سنة 2018 وتتألف لجنة الاختيار من ممثلين عن الاتحاد الدولي للناشرين، والاتحاد الدولي للمكتبات، والاتحاد الدولي لأمناء المكتبات العامة واليونسكو.

ووفقا للجنة الاختيار وقع الاختيارعلى مدينة إنشيون في جمهورية كوريا، وعيِّنت عاصمة عالمية للكتاب لعام 2015، اعترافاً ببرنامجها الرامي إلى ترويج القراءة لدى الشباب والفئات المحرومة. وسبق أن تم اختيار مدينة بورت هاركورت بنيجيريا العاصمة العالمية للكتاب في 2014، لجودة برنامجها، وعلى وجه الخصوص ما يتعلق منه بالشباب وتأثيره في مجال الكتب والقراءة والكتابة والنشر، بما يخدم تحسين معدلات القراءة والكتابة في نيجيريا. وتم اختيار مدينة بيونس أيريس عاصمة الأرجنتين «عاصمة عالمية للكتاب» لعام 2011، نظرا للمستوى الرفيع للبرنامج المقترح وتنوع جوانبه، بالإضافة إلى الإستراتيجية العامة التي يستند إليها هذا البرنامج. وكانت العاصمة التايلندية بانكوك قد اختيرت عاصمة للكتاب لعام 2013 فيما سبقتها مدينة «يريفان» الأرمينية في 2012.

التنوع الثقافي بالمغرب رافعة للتنمية وضمان الاستقرار

يعد التنوع الثقافي خاصية جميع مجتمعات العالم، حيث لا نكاد نجد مجتمعا أو بلدا يتوفر على تجانس ثقافي أو لغوي أو ديني مطلق، حيث يطبع التنوع كل مناحي الحياة البشرية، في اللسان والعادات والتقاليد والمعتقدات وغير ذلك. كما يفيد التنوع الثقافي الاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية في الأنماط الثقافية السائدة فيها. ويتجلى هذا التنوع من خلال أصالة وتعدد الهويات المميزة للمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية.

ونظرا لأن الدولة الوطنية الحديثة قامت على ضرورة صهر المكونات المختلفة من أجل تقوية الدولة المركزية، إلا أن هذا النموذج سرعان ما أصبحت تعترضه عقبات كبيرة ممثلة في عدم استجابته لحاجات المجتمعات في حماية تنوعها وتراثها الغني، مما أدى إلى ظهور الحركات الاحتجاجية التي مارست الكثير من الضغوط المدنية والسياسية التي جعلت العديد من الدول تنتقل من النموذج التقليدي للدولة الوطنية إلى نماذج أكثر انفتاحا على التنوع واحتراما ورعاية له.

وقد أصبح التنوع بموجب ذلك حقا من الحقوق التي تطالب بها المجموعات المختلفة، وصدرت العديد من الوثائق والمرجعيات الحقوقية الدولية التي تكرس الحقوق الثقافية واللغوية، مما وفر أرضية خصبة للحق في التنوع الثقافي الذي أصبح من حقوق المواطنة.

وإذا كانت الحقوق اللغوية والثقافية جزءا لا يتجزأ من حقوق الإنسان التي هي حقوق كونية، فقد أصبح من حق كل مجموعة أن تتمتع بالقدرة على التعبير عن خصوصياتها، كما صار بإمكان المجموعات الثقافية واللغوية أن تتبادل المعارف والخبرات وتؤثر وتتأثر ببعضها في إطار نفس المجتمع الذي يعتبر تنوعه غنى وثراء ومصدر افتخار واعتزاز.

ومن جهة أخرى يمثل تنوعنا الثقافي تراثاً مشتركاً للبشرية. فهو مصدر لتجدد الأفكار والمجتمعات، يتيح للمرء أن ينفتح على الآخرين وأن يبتكر أفكاراً جديدة. ويتيح هذا التنوع فرصة ثمينة لتحقيق السلام والتنمية المستدامة.

ويعد المغرب بلدا غنيا من حيث تنوعه الثقافي واللغوي منذ أقدم العصور، حيث تفاعلت في إطاره حضارات عريقة تعاقبت على أرضه، كما شهد انطلاقا من موقعه الجغرافي المنفتح على العمق الإفريقي وعلى البوابة المتوسطية وعلى الشرق الأوسط وأوروبا، تفاعلا حضاريا كبيرا بين مكونات عديدة، ساهمت جميعها في تشكيل حضارته وشخصيته الثقافية المتعددة.

ففي التاريخ القديم لشمال إفريقيا تفاعل الأمازيغ، السكان الأصليون مع بعض الشعوب الإفريقية وشعوب حوض البحر الأّبيض المتوسط، التي برزت في فترات معينة على مسرح الأحداث مثل الفينيقيين والقرطاجيين والرومان والوندال ثم البيزنطيين[1]، كما تفاعلوا مع العرب في المرحلة الإسلامية ومن خلال ذلك مع الحضارات الشرقية، مما سمح بتشكيل معالم للتنوع الثقافي واللغوي في المغرب، حيث رصد جوانب التأثير والتأثر التي تجلت بالخصوص في اللغة الأم للسكان الأمازيغ والتي تفاعلت مع اللغات الأخرى الوافدة، ونتج عن ذلك لغات جديدة وسيطة مثل الدارجة المغربية التي هي نتاج تفاعل اللغتين الأمازيغية والعربية، مما ميز المغرب بتنوع لغوي وثقافي ساهم في إثراء هويته وتعددها وتميزها، وإذا كان هذا التنوع قد ظل مجهولا ومهمّشا لعقود طويلة بعد الاستقلال، فإن دستور يوليوز 2011، قد أقرّ مختلف مكونات التنوع الثقافي واللغوي المغربي، وأكد على ضرورة احترام هذا التنوع والتعدد الهوياتي والمحافظة عليه. كما عرف المغرب توجهات سياسية إيجابية بعد ما نص الدستور على إحداث مجلس وطني للغات والثقافة المغربية، والذي سيهتم بحماية وتنمية مقومات الهوية الوطنية العربية والأمازيغية والحسانية، والروافد الإفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية إضافة إلى العناية بالتراث والإبداع.

1- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

وعلى الصعيد الدولي، مع اقتراب الأجل المحدد لتحقيق الأهداف الإنمائية للألفية، تسعى اليونسكو إلى بذل المزيد من الجهود لإثبات الصلة التي تربط الثقافة بالتنمية المستدامة.

للإشارة، فقد أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في القرار الذي اعتمدته في دجنبر 2013، بالدور الذي تؤديه الثقافة بوصفها محركاً أساسيا لعجلة المتنمية المستدامة، وكذا حشد المزيد من الجهود من أجل استغلال الإمكانيات التي يوفرها التنوع الثقافي.

وتأمل اليونسكو إدراج الثقافة والتنوع الثقافي لجميع الدول في برنامج التنمية المستدامة لمرحلة ما بعد عام 2015[1].

ويشكل التنوع الثقافي رافعة للتنمية وضمان الاستقرار كما يساهم عند إقراره وضمان الحفاظ عليه في ضمان الاستقرار السياسي وتعميق الانسجام الاجتماعي عكس ما كان يُعتقد، وهذا ما يستدعي سياسيا سلوك الديمقراطية منهجا لتكريس هذا التنوع والحفاظ على التعدد وقيم التسامح والعدالة الإجتماعية والحرية. وحيث أن التعددية الثقافية لا يمكن فصلها عن وجود إطار ديموقراطي فانها تيسر المبادلات الثقافية وتؤدي إلى ازدهار القدرات الإبداعية التي تغذي الحياة العامة.

ويساهم كذلك القبول بالتنوّع الثقافي والإقرار به – عبر الاستعمال الإبداعي للإعلام وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات بشكل خاص – في خلق الحوار بين الحضارات والثقافات وفي بلوغ الاحترام والتفاهم المتبادل ولهذا يكمن الرهان الحقيقي على المستوى الكوني في النهوض بالتنوع الثقافي باعتباره «تراثا إنسانيا مشتركا» يساهم في التقارب بين الشعوب والأمم، ونشر ثقافة التسامح والتبادل الإيجابي (إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي 2001).

لقد أتت معاهدة اليونسكو لسنة 2005 بضمان حرية التعبير، وتعددية وسائل الإعلام، والتعددية اللغوية والمساواة في فرص الوصول إلى أشكال التعبير الفني والثقافي

1- http://www.unesco.org/new/ar/unesco/events/prizes-and-celebrations/celebrations/international-days/world-day-for-cultural-diversity-for-dialogue-and-development/

والحضور الكامل في وسائل التعبير والنشر وهي مفاهيم وقيم تعتبر في إطار القانون الدولي ضمانات للتنوع الثقافي.

في إطار المنطلقات المشار إليها عمل المغرب خلال العقد الأخير على تسوية الخلافات المتعلقة بالتنوع اللغوي والثقافي، وخاصة بتدبير ملف الأمازيغية في إطار الحوار الوطني، وذلك بهدف الحفاظ على الثقافة الأمازيغية والنهوض بها في جميع تعابيرها وضمان إشعاعها في الفضاء الاجتماعي والثقافي والإعلامي الوطني والجهوي والمحلي، بالإضافة إلى التعابير الأخرى من الحسانية واليهودية وغيرها. وبهذا تموقع المغرب في مكانة متميزة في شمال إفريقيا بخصوص حسن تدبير التنوع الثقافي، وخير دليل على ذلك أنه يعد حاليا نموذجا مرجعيا بارزا في تدبير التنوع على الصعيد الإفريقي والشرق أوسطي، باعتماده سياسة منفتحة على كل مكوناته الثقافية.

الإعلام الأمازيغي المكتوب الواقع والآفاق

ارتبطت الصحافة المغربية منذ نشأتها ومراحل تطورها بالموقف وبالرأي لأسباب تاريخية واعتبارات متعددة. كما «تمتاز الصحافة المغربية المكتوبة كذلك، باعتبارها محركا للتنمية والتقدم، بماض نضالي، لكونها شكلت إحدى القنوات الأساس للحركة الوطنية في عملها السياسي من أجل الإصلاحات ثم الإستقلال، وفي تأطير وتعبئة الجماهير الشعبية، حيث كانت الصحافة الحزبية، منشغلة أكثر بخوض نضال سياسي معتمدة في ذلك على إسهامات المناضلين عوض الصحفيين المهنيين»[2]

وخلال السنوات الأولى بعد الاستقلال شهدت الصحافة المغربية نوعا من توسيع هامش حرية التعبير. إضافة إلى أن الصحافة المغربية حققت قفزة نوعية في مجال الطباعة وتقنيات العمل الصحفي اليومي، كما عرفت الساحة الوطنية تعدّد عناوين المنابر الإعلامية الذي طبع الإعلام المغربي بتعددية إيجابية وفعالة، وهذا ما يعكس اتساع مجال المبادرة ورقعة حرية التعبير، بالرغم من وجود نواقص في العمل الصحفي الاحترافي، وأذى ذلك إلى إيجاد سبل ناجعة بهدف التطوير والارتقاء بهذا القطاع لمسايرة العصر.

وشكلت المناظرة الوطنية الأولى حول الإعلام والاتصال سنة 1993[3] نقلة نوعية في تاريخ تطور الصحافة المكتوبة ببلادنا حيث ناقش خلالها المعنيون والشركاء الاجتماعيون والجامعيون، الرهانات والتحديات التي يواجهها الإعلام المغربي في ظل التحولات التي يشهدها العالم مما سمح بظهور صحافة خاصة أو صحافة ذات رأسمال خاص[4] جانب الصحافة الحزبية. وكانت مناسبة أشغال ندوة «اللقاء الوطني حول «الأمازيغية والإعلام

2- خمسون سنة من الإعلام والاتصال بالمغرب من ظهير الحريات العامة إلى مجتمع الإعلام والمعرفة. وزارة الاتصال سنة 2007 (ص20)

3- ابراهيم أخياط، (الدرس الافتتاحي للسنة الجامعية 2008 /2009) بالمعهد العالي للصحافة والاتصال في أكتوبر 2008.

4- المطالب الأمازيغية في الإعلام العمومي، معلومة أخذت من نص الرسالة التي وجهتها جمعية البحث والتبادل الثقافي لوزير الاتصال آنذاك.

الوطني» في ما ي 1998 فرصة لاقتراح نظام قانون لمنح الدعم المقدم للصحافة وفصله عن الدعم المقدم للأحزاب السياسية، وتحديد مقاييس تراعي تفاوت نسبة مداخيل الإشهار، قصد تعويض الصحف ذات الإمكانيات المحدودة، وضمان توظيف الدعم في تطوير وسائل العمل وتحيين المنتوج وتكوين الصحفي، مع العمل على أن تحترم المؤسسات المستفيدة قوانين الشغل والاتفاقيات الجماعية وقانون الصحافة.

وفي ظل هاته التحولات عاشت الأمازيغية في وضع هامشي حيث كان المشهد الإعلامي السمعي- البصري، وكذا المكتوب متصفا آنذاك بطابع اختزالي في ازدواجية لغوية عربية / فرنسية وذلك نتيجة استبعاد اللغة الأمازيغية وتراثها الثقافي من المنابر الإعلامية الوطنية مما يحول دون استثمار الإرث اللغوي والثقافي المغربي المتنوع.

وقد ساهمت جمعيات أمازيغية خلال مسيرة عملها المدني في إعطاء الصحافة الأمازيغية المكانة التي تستحقها، وذلك من أجل إغناء الممارسة الإعلامية وضمان إشعاع الثقافة الأمازيغية في المجتمع. حيث ساهم الفاعلون الأمازيغيون في إنشاء صحافة أمازيغية ومما لا شك فيه أن الجمعيات الثقافية الأمازيغية أدت دورا أساسيا في تزويد المكتبة المغربية والأمازيغية، بمختلف المنشورات الفكرية والأدبية والفنية والسياسية والتاريخية وغيرها.[5] انطلقت في البداية في شكل النشرة التي توزع باليد في اللقاءات الثقافية والمنتديات الخاصة ما بين 1968 و1979. والصحافة الأمازيغية المكتوبة مصطلح إعلامي رائج بالمغرب منذ عقود تمتد إلى بداية الثمانينات، حيث ظهرت المنابر الأولى التي تعكس صحافة ذات توجه نحو الإهتمام بقضايا اللغة والثقافة الأمازيغيتين، ونخص بالذكر منها مجلّة «أمازيغ» التي ظهرت عام 1979، وتلتها تجارب أخرى. وبخصوص تاريخ هذه الصحافة، فهي تميز بين[6]:

صحافة الجمعيات وهي التي تصدرها جمعيات أمازيغية، وتركز على الدفاع عن منظور الجمعية لهذه القضية أو تلك[7]، والتعريف بعمل الجمعية واهتمامها، وقراءتها

5- الصحافة الأمازيغية المكتوبة بين النشأة والصيرورة، التجاني بولعوالي، إصدارات جامعة لاهاي العالمية للصحافة والإعلام 2009، ص75.

6- المرجع نفسه، ص 20 - 23.

7- أسئلة الثقافة والهوية في المغرب المعاصر، أحمد عصيد، مطبعة إدكَل 2002، ص 159.

لوضعية الأمازيغية بالمغرب وشمال إفريقيا والعالم، كما تهتم كذلك بمسار الحركة الأمازيغية[8].

صحافة الأفراد وهي التي تصدر بفضل مجهود شخصي للمناضل الأمازيغي، وتركز على الرأي الفردي ونقل المواقف والقرارات التي تمس من قريب أم من بعيد القضية الأمازيغية[9]

الصحافة الحزبية هي وإن كانت تبدو في ظاهرها مستقلة، غير أنها تشتغل في إطار استراتيجية عامة يرسم الحزب معالمها.

المقاولة الإعلامية مثال ذلك صحيفة العالم الأمازيغي.

ويرى الأستاذ التيجاني بولعوالي في دراسته السالفة الذكر أن هذا التقسيم في الحقيقة تقسيم منهجي دقيق، لأنه يأخذ بعين الاعتبار جانبين أساسيين هما:

الجانب الكرونولوجي في تاريخ الصحافة الأمازيغية المكتوبة، التي بدأت أول ما بدأت داخل المؤسسات الجمعوية، ثم تلت ذلك بعض المحاولات الفردية لمثقفين أمازيغ، ثم نشأت ظاهرة التوظيف الحزبي للأمازيغية من قبل الحركة الشعبية، وجريدة **بيان اليوم** التي كانت تخصص حيزا من صفحاتها للأمازيغية في نهاية السبعينات والثمانينات من القرن الماضي ثم انتهت هذه التجربة بمشروع المقاولة الإعلامية التي تمثلها جريدة العالم الأمازيغي. إلا أنه على مستوى الصيرورة والاستمرارية فإن كل مرحلة أو نوع صحافي لا يتوقف بظهور المرحلة اللاحقة وإنما يظل مستمرا في سياقه الخاص به، وهذه خاصية متميزة في تاريخ الصحافة الأمازيغية المكتوبة. من هذا المنطلق فإن الصحافة الجمعوية لا تموت بمجيء الصحافة الحزبية، والصحافة الفردية لا تندثر بظهور المقاولة الإعلامية.

الجانب الوظيفي، إذ أن كل طور أو صنف من هذه الصحافات المذكورة، تحيل على مدى حضورها الوظيفي عبر التاريخ أو في الواقع، فلكل صحافة رسالتها الخاصة بها؛

8- الحسين وعزي، نشأة الحركة الثقافية الأمازيغية بالمغرب 1967 - 1991، مطبعة المغرف الجديدة الرباط سنة 2000، ص4.

9- أسئلة الثقافة والهوية في المغرب المعاصر، مرجع سابق.

فالصحافة الجمعوية تسعى إلى خدمة قضايا الأمازيغية محليا وجهويا، ثم محاولة تعميم ذلك وطنيا ودوليا عن طريق مختلف وسائط التواصل من نشرات وجرائد ومجلات وملصقات وغير ذلك، أما الصحافة الفردية فترمي إلى تحفيز الكفاءات الفردية لمجموعة من المثقفين الأمازيغ، لذلك فهي تعمل على نشر إسهاماتهم الإبداعية والفكرية عبر منابرها، ويؤكد الأستاذ التيجاني في نفس الدراسة أنه بامتلاك صحافة أمازيغية متمكنة يتيسر توصيل الخطاب الثقافي والسياسي الأمازيغي».

كما يقصد بالصحافة الأمازيغية المكتوبة (أنغميس ن تمازيغت يوران) في أدبيات المثقفين الأمازيغيين والمغاربة، ما أنجزته الحركة الثقافية الأمازيغية من جرائد ومجلات ومناشير وغير ذلك، قصد التواصل من خلالها مع القارئ المغربي عامة، والأمازيغي خاصة، لتعريفه بالمسألة الأمازيغية وما يتفرع عنها من قضايا تاريخية وثقافية ولغوية وسياسية وما إلى ذلك[10]

وقد انطلقت الصحافة الأمازيغية المكتوبة في صيغة نشرات داخلية، حيث كان الهاجس الغالب والمحرك لهذه المبادرة هو نقد مفاهيم الثقافة الرسمية السائدة، والخطابات الإيديولوجية المناوئة، ويبدو ذلك جليا في مضامين تلك النشرات، كما نجده في مقالات متفرقة في منابر وطنية منذ الستينيات القرن الماضي للأستاذ محمد شفيق، والمرحوم علي صدقي أزايكو في بداية السبعينيات»[11].

وتتميز تلك النشرات بأنها كانت تصدر عن جمعيات أمازيغية مهتمة ومنها «أراتن» Arratn (الكتابات) و«التبادل الثقافي» التي كانت تصدرها الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، و«تيدرين» Tidrin (السنابل) التي أصدرتها الجمعية المغربية للثقافة والمعرفة سنة 1976، و«أنازور» سنة 1991 و«أدليس» (الكتاب) سنة 1992 وهي من إصدار جمعية تيليلي (الحرية) بكلميمة و«أسوريف» (الخطوة) سنة 1994 من إصدار جمعية أسنفلول بمكناس و«ليبيكا» وغيرها.

10- تاريخ الصحافة الأمازيغية المكتوبة في المغرب، الدكتور التجاني بولعوالي دراسة نظرية مع تطبيق على نماذج من الجرائد الأمازيغية دراسة مقدمة إلى قسم الصحافة والإعلام الأمازيغي، بجامعة لاهاي العالمية للصحافة والإعلام بهولندا لنيل درجة الدكتوراه، ص 66

11- أسئلة الثقافة والهوية في المغرب المعاصر أحمد عصيد منشورات إدكل 2002 الطبعة الأولى الرباط.

وقد ظهرت بعد ذلك مجلات وصحف مطبوعة ومنشورة ابتداء من سنة 1980 مع مجلة «أمازيغ» Amaziv التي كان يصدرها أوزين أحرضان ومنها أيضا مجلة «أمود» Amud (البذور) التي أصدرتها جمعية أمريك سنة 1990 و«تيفيناغ» Tifinav التي أصدرها كذلك أوزين أحرضان سنة 1993، و«تيفاوت» Tifawt (الصباح) التي أصدرها محمد أجعجاع سنة 1994، و«تاوسنا» Tawssna (المعرفة) التي أصدرها محمد مستاوي وأحمد عصيد سنة 1995.

كما عرفت الساحة الإعلامية الأمازيغية صدور عدد هام من الجرائد نذكر منها أول إصدار من هذا النوع والممثل في جريدة «أدرار» Adrar (الجبل) أصدرتها سنة 1984 الجمعية الثقافية لسوس، وجريدة «تاسافوت» (المشعل) Tasafut التي أصدرتها سنة 1991 الجمعية الجديدة للثقافة والفنون الشعبية (منظمة تاماينوت حاليا)، إضافة إلى جرائد إخرى من قبيل : «تامونت» Tamunt» (الصداقة) تاماكيت» (الهوية) Tamagit و«تيدمي» Tidmi وأكراو أمازيغ» Agraw Amaziv و«تاويزا» Tawiza و«تيليلي» Tilelli و«تامازيغت» Tamazivt و«العالم الأمازيغي» Amaäal Amaziv «تيلواح» Tillwap و«أزطا أمازيغ» AzTTa Amaziv.

وفيما يلي التقسيم الذي اعتمده الأستاذ التجاني بولعوالي في دراسته تاريخ الصحافة الأمازيغية المكتوبة في المغرب ص [12]71. الذي اقترح فيه الجدول التالي: الذي يشمل أهم إنجازات الصحافة الأمازيغية المكتوبة حسب التقسيم الرباعي المشار إليه سالفا.

12- التيجاني بولعوالي، الصحافة الأمازيغية المكتوبة في المغرب بين النشأة والتطور، مطبعة المعارف 2015 ص71...

الطور/الصنف	أهم الإنجازات الصحافية الأمازيغية المكتوبة
الصحافة الجمعوية	يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الإنجازات: النشرات أناروز، ليبيكا، تايدرت: أصدرتها فروع جمعية تامينوت إمولا: فرع تيمولاي للشبكة الأمازيغية من أجل المواطنة تيدرين: الجمعية المغاربية التبادل الثقافي: الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي الجرائد أدرار: جمعية سوس الثقافية بالدار البيضاء تسافوت: جمعية تماينوت تامونت: الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي تيليلي: الجمعية الثقافية أمزداي: الجمعيات المشكلة للمجلس الوطني للتنسيق أزطا أمازيغ: الشبكة الأمازيغية من أجل المواطنة المجلات أمود: الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي تامازيرت: الجمعية الثقافية الأمازيغية
الصحافة الفردية	وهي مبادرات شخصية لبعض المثقفين الأمازيغ تماكيت: أصدرها الأستاذ مبارك بولكيد في البداية على شكل مجلة لتصبح فيما بعد جريدة. تيفاوت: أصدرها الأستاذ محمد أجعجاع. تاويزا: أصدرها الأستاذ محمد بودهان. تمازيغت، أصدرها الأستاذ أحمد الدغرني. إمازيغن: أصدرها الأستاذ إدريس بومنيش. أمزيان: تعنى بصحافة الطفل، أصدرها بمدينة الناظور الأستاذ محمد أدرغال. تيفراس ن ريف: صدرت بمدينة الحسيمة، مدير نشرها الأستاذ حسن الجرموني، ورئيس تحريرها الأستاذ سعيد الغزواني. تيلواح: صدرت بمدينة أكادير، المدير المسؤول عنها، الأستاذ ابراهيم بوغضن.

الصحافة الحزبية	وتتلخص أهمها في إنجازات حزب الحركة الوطنية الشعبية بزعامة المحجوبي أحرضان: مجلة أمازيغ جريدة تيدمي مجلة تيفيناغ أكراو أمازيغ ويمكن إضافة جريدة تمازيغيت التي أصدرها أحمد الدغرني، وأصبحت بعد تأسيس الحزب الديمقراطي الأمازيغي من قبله، تنطق بلسان الحزب.
صحافة المقاولة أو المؤسسات الإعلامية	أهم إنجاز في هذا الباب هو شركة S.N.C، التي أسست جريدة العالم الأمازيغي. كما تجدر الإشارة إلى أن المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية يصدر نشرة إخبارية، تحمل عنوان: (ينغميسن ن وسناك) ، وهي عبارة عن مجلة تقع في ثمانين (80) صفحة، وبثلاث لغات (الأمازيغية، والعربية والفرنسية.).

كما يصدر المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مجلة أسيناگ asinag، وهي المجلة العلمية للمؤسسة ولفظة أسيناگ[1] اشتقاق جديد مدلوله «معهد البحث» والغاية من هذه المجلة النهوض بالبحث في مجال الأمازيغية، دون أي منحىً قبليّ من الوجهتين النظرية أو المنهجية إذ يأتي إحداثها لسدّ الفراغ القائم في مجال النشر بالمغرب، ولفتح دورية تتضمن أعمالا ذات جودة أمام جمهور الباحثين والمفكرين على الصعيدين الوطني والدولي.

وتعد أسيناگ أول مجلة علمية وثقافية مغربية ترصد برمّتها للأمازيغية، بمكوناتها اللغوية والثقافية والحضارية. وتصدرمؤقتا على نحو عدد واحد في السنة، حيث تتميز بتعدد اللغات والاختصاصات. كما تتضمن ملفات موضوعاتية، ومقالات علمية وثقافية، وحوارات، وعروض إصدارات، وإبداعات أدبية، وحوليات ببيلوغرافية..

وتتوفر أسيناگ-asinag على لجنة علمية بتمثيلية واسعة، بها أعضاء مشهود لهم بالكفاءة العلمية في مجالات تخصصهم. أما لجنة التحرير فتشمل باحثين متمرسين، ينتمون إلى هيئة البحث بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. وهي في نفس الوقت لجنة قراءة تستعين بكفاءات من خارج المؤسسة[13].

وقد كانت المقالات التي تنشر في الصحافة الأمازيغية في البداية تكتسي طابعا تعليميا وتوعويا هدفها لفت انتباه الرأي العام الوطني إلى الثقافة الأمازيغية التي زج بها في عالم النسيان، بل وسعت المقالات المنشورة في بداية الثمانينيات وبداية التسعينات إلى الاحتفاء بالموروث الثقافي الأمازيغي من آداب وفنون وغيرها من تجليات هاته الثقافة الأصيلة وخصوصا في صفحات «أمازيغ» ثم «تامونت» و«تامازيغت». التي تشجع الإبداع بالأمازيغية والتعريف بحروف تيفيناغ وذلك تكريسا لمبدأ التعدد اللغوي. وخصوصا في الافتتاحيات التي كانت تكتب بشكل احتجاجي ونضالي.

ومن حيث الحصيلة النقدية لهذه الصحافة الأمازيغية المكتوبة فيمكن القول إنها تتميز بالطابع النضالي الذي يربطها برهانات الحركة الأمازيغية، وبضعف نسبي في الجانب المهني، كما تستعمل من الناحية اللغوية أكثر من لغة حيث يلاحظ انفتاح معظم هذه الصحف والمجلات على التعددية اللغوية عربية ـ فرنسية ـ أمازيغية، كما أصبحت أكثر فأكثر تستعمل حروف تيفيناغ بعد تقعيدها ومعيرتها من طرف المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية عام 2003، وإن كانت ما زالت غير متيسرة بالنسبة لعموم الصحفيين، مما يجعل قراءة الأمازيغية بهاته الحروف مقتصرا على جمهور المناضلين المتتبعين وبعض رجال ونساء التعليم الذين يزاولون التدريس بحرف تيفيناغ. وتتسم العديد من التجارب الصحفية الأمازيغية بالطموح إلى المزيد من الإسهام في تطوير[14] الصحافة الأمازيغية غير أنها بسبب عدم اكتسابها طابع المؤسسة الصحفية التي تعتمد هياكل مهنية وموارد بشرية ومادية يمكن أن تجذب إليها جمهور القراء بشكل احترافي مهني، فإنها تبقى صحافة قضية نضالية ذات مطالب.

13- موقع المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية www.ircam.ma

14- الإعلام الأمازيغي المكتوب الواقع والآفاق مقال، لخديجة عزيز نشر في جزئين بجريدة المنعطف مارس 2010

بجانب هذا يلاحظ بأنّ معظم المنابر الأمازيغية غير منتظمة الصدور بسبب نقص إمكانياتها، باستثناء جريدتي «العالم الأمازيغي» و«أكراو أمازيغ»، حيث حصلت الأولى على دعم الدولة بينما ترتبط الثانية بحزب الحركة الشعبية وبالسيد أوزين أحرضان.[15]

ومن جهة أخرى تتميز هاته الصحافة بكونها تعتمد على قصاصات إخبارية للأنشطة الجمعوية، مع بعض مقالات الرأي، كما تعتمد في مصادرها على المواقع الإلكترونية التي تشكل من الناحية المعرفية بنكا للمعلومات، حيث تتوفر على نصوص ودراسات علمية أكاديمية تهم مجالات متنوعة، إضافة إلى مواقع للنقاش حول الأمازيغية باللغات الأمازيغية والفرنسية[16] والكتلانية والهولندية والإسبانية...،

فهذه المواقع الإلكترونية تمد الصحافة الأمازيغية بمختلف المواد الإخبارية، والكتابات الإبداعية،[17] في حين يلاحظ غياب الأخبار الوطنية والدولية. ومن الناحية الفنية والتقنية والتنظيمية، فمواضيعها ومحتوياتها غير متخصصة، فهي تنشر الأخبار، والبلاغات، والإبداعات، والأبحاث. كما تخصص بعضها زوايا للطفل[18].

و قد ظهر في السنوات الأخيرة ميل العديد من الصحف الحزبية إلى تخصيص صفحة أسبوعية بالأمازيغية، يتمّ فيها نشر بعض الأخبار والمقالات حول اللغة والثقافة الأمازيغيتين، ويتعلق الأمر بصحف « المنعطف «التي تصدر صفحتين كل بداية الأسبوع، و«العلم» كل أربعاء» و«رسالة الأمة» كل خميس و«بيان اليوم» كل جمعة، علما بأن جريدة البيان كانت سباقة إلى ذلك منذ الثمانينات من القرن الماضي، هذا بالإضافة إلى منابر وطنية تخصص بشكل متقطع ملفات حول الأمازيغية.

وبالنظر إلى مسار الصحافة الأمازيغية يمكن استخلاص ما يلي :

أن هاته الصحافة أدت دورا حاسما في إبراز وتطوير «الخطاب الأمازيغي» بحيث احتضنت وما زالت السجال حول المشاكل والقضايا التي تطرح موضوع الأمازيغية

15- المرجع السابق ص 7

16- مرجع سابق

17- الصحافة الأمازيغية المكتوبة بين النشأة والصيرورة، ص86 انظر في الملاحق بعض المواقع الالكترونية الأمازيغية.

18- «الصحافة الأمازيغية الحصيلة والآفاق»، سلسلة الندوات والمناظرات، منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية.

بأبعاده المختلفة وعلى كافة المستويات في سياق وطني ودولي يعرف تزايد الإهتمام بمواضيع الهوية والتنوع الثقافي.

كما حاولت الصحافة الأمازيغية المكتوبة جهد الإمكان الاقتراب من هموم الإنسان الأمازيغي الذي عانى من التهميش على مستوى المجالات المختلفة، واستطاعت إلى حد ما أن تكون رأيا عاما أمازيغيا وجمهورا من المتتبعين.

وإذا كان الإعلام بشكل عام يتطور يوما بعد يوم نحو الأفضل رغم كل التحديات والعراقيل التي تفرضها المنافسة، فإن الصحافة الأمازيغية بشكل خاص تعاني من أزمات تجعلها تقع في إشكالية المهنية، بالإضافة إلى معيقات ذاتية وموضوعية ربما تكون الصحافة عامة قد تجاوزتها بحكم الدعم المادي والمعنوي الذي يمنح لها من طرف الدولة، كما هو شان الإعلام الحزبي، أو من طرف مؤسسات وشركات خاصة بالنسبة لما يسمى بالإعلام «المستقل».

- مشكل التوزيع الذي تهيمن عليه شوسبريس التي لها موقف معادي للأمازيغية.

غير أنه بالنظر إلى هاته المعيقات يجدر بنا أن نقترح بعض الحلول لتجاوز بعض منها وذلك بـ:

ـ تحفيز الصحفيين على اكتساب خبرات إضافية ومهارات مهنية جديدة، وتوسيع معارفهم النظرية والعملية. وذلك من أجل أن يكونوا قادرين على نقل ثقافتهم واهتماماتهم إلى الآخرين بشكل جيد وجذاب.

ـ تشجيع مقال التحليل ومقال التحقيق الصحفي باعتبارهما نادرين في الصحافة الأمازيغية، التي يهيمن عليها مقال الرأي ومقال الخبر.

- جذب دعم المؤسسات الاقتصادية «الأمازيغية» من خلال إشهار منتوجاتها، وذلك لما للرأسمال الاقتصادي من دور في تشجيع المشاريع الإعلامية وإنجاحها ورفع مستواها التقني والفني على الخصوص.

ـ تنظيم الصحف والمجلات والدوريات لضمان حد أدنى من التخصص، وكذا يجب أن تنفتح هاته الصحافة على القضايا اليومية للمواطن المغربي بصفة عامة محاولة كسب الرهان التقني والجمالي أمام المنافسة العالمية.

ـ توفير وسائل التطور نحو الاحترافية المهنية، وذلك بتنظيم المزيد من الدورات التكوينية للعاملين في الصحافة الأمازيغية[1] لأن التكوين يعد جانبا اساسيا في مسلسل تعزيز موقع الأمازيغية، كحمولة فكرية وثقافية في مختلف وسائل الإعلام الوطنية. على اعتبار أن التكوين يعد كذلك من بين الحلقات الهامة ضمن مشروع الأمازيغة وتمكين الصحافيين من آليات العمل المعرفية والتقنية والتكنولوجية، لتنويع وإغناء المنتوج الإعلامي وجعله مناسبا لمختلف الأذواق، ومتماشيا مع التحولات الإيجابية التي يشهدها المغرب على مختلف الأصعدة الأقتصادية والاجتماعية والفكرية.[2]

وحاليا وفي خضم التغييرات التي عرفها الإعلام المغربي نتساءل عن مكانة الإعلام الأمازيغي المكتوب، الذي لا يمكن استثناؤه من المشهد الإعلامي المغربي، حيث ما زال حضوره محدودا بالرغم من وجود محاولات طموحة نحو تطوير مشاريع مقاولاتية مستقلة. وبالرغم من القاعدة الجماهيرية للأمازيغية على الرغم من أغلبيتها، لا تتوفرعلى إعلام أمازيغي محترف، بحيث تغيب اليوميات، والأسبوعيات[3] ففي سياق أصبح فيه الإعلام المعاصر أهم وسيلة للتأثير في العديد من الأنساق الثقافية والفكرية لدى الأفراد والجماعات والشعوب، ويشهد فيه العالم ثورة كبرى في عالم الإعلام، يطرح أمام الإعلام الأمازيغي رهان التطور بشكل تدريجي نحو مزيد من الإحترافية والمهنية.

1-في هذا الإطار نظم المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية دورتين تكوينيتين لفائدة العاملين في الصحافة الأمازيغية لفائدة صحفيي القناة الثانية من 16 إلى غاية 21 نونبر 2006 ولفائدة صحفيي الصحافة المكتوبة ما بين 11 و15 يوليوز 2005. ودورات مماثلة سنوات 2006 و2007 ومن 26 إلى 30 أكتوبر 2009 نظمت بمقر المعهد. وآخرها في سنة 2017 و2018 نظمت بمقر المعهد.

2- الإعلام الأمازيغي المكتوب الواقع والآفاق مقال، لخديجة عزيز نشر في جزئين بجريدة المنعطف مارس 2010 مرجع سابق .

3- تشخيص وضعية الإعلام الأمازيغي المكتوب بالمغرب، أحمد زاهد من مداخلة تقدم بها خلال اللقاء الذي نظمه المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية حول «الصحافة الأمازيغية الواقع والآفاق» يومي 13 و14 دجنبر 2004. بالمعهد العالي للإعلام والاتصال -الرباط.

الحـاجة إلى السينما الأمازيغية

يقصد بالسينما الأمازيغية تلك الأفلام الناطقة باللغة الأمازيغية باعتبارها وسيلة في التعبير، أو تتحدث عن الإنسان الأمازيغي حيث تعبر عن همومه وطموحاته وترصد عاداته وتقاليده وتعالج قضاياه الأساسية والثانوية.

والفيلم الأمازيغي يكتسب خصوصيته من الواقع والوقائع الاجتماعية الإنسانية المترسخة في الذاكرة والذات الفردية والجماعية.[4] ويعد كذلك وسيلة فعالة للإهتمام بالتراث في علاقته بالإنسان وبالفضاء الذي يعيش فيه.

ويحق لنا اليوم أن نتساءل كما إذا كان هناك تراكم يجعلنا نتحدث عن سينما أمازيغية؟ - لقد كان أول ظهور لأفلام ناطقة بالأمازيغية إلى سنة 1934 في الفترة الاستعمارية ويتعلق الأمر بفيلم « إيطو» للمنتجين «ماري أبشتاين» و«جون بينوا لوفي» Marie Epsteinو Jean Benoit-Lévy

وقد تزامنت فترة إنتاج هذا الفيلم مع صدور ظهير 16 ماي 1930 الذي سمي ب «الظهير البربري» الذي نص عل إحداث محاكم عرفية أمازيغية.

ونظرا لعدم توفر أي إدماج فعلي للأمازيغية في الإعلام السمعي البصري وفي المؤسسات ذات الصلة بالتكوين الفني، فقد ظل الإنتاج الدرامي الأمازيغي غائبا إلى حدود شهر يوليوز من سنة 1993 التي ستشهد ظهور أول فيلم فيديو أمازيغي (Tigigilt)، والتي دشنها محمد مرنيش وكذا الحسين بيزكارن بفيلم تامغارت ن وورغ Tamghart n wurgh.

ويعد فيلم (Tigigilt)، انطلاقة تجربة ستثمرعددا هاما من الأفلام (172 فيلما إلى حدود منتصف 2007)، انخرطت في إنتاجها 28 شركة للإنتاج، مما خلق جمهورا

4- الفيلم الأمازيغي من الخصوصية إلى الامتداد، لحسن ملواني من كتاب أفلام أمازيغية ص 28.

واسعا للدراما الأمازيغية وسوقا رائجة على هامش المؤسسة الرسمية. ولم يتم إنتاج أول فيلم أمازيغي تلفزيوني إلا سنة 2001، كما لم يتم إخراج أول فيلم سينمائي إلا سنة 2006، وهي نفس السنة التي عرفت فيها الساحة الفنية الأمازيغية حصول أول فيلم أمازيغي على دعم المركز السينمائي المغربي، تلته عدة أفلام أخرى سنة 2007 لتستمر المسيرة التي وصلت اليوم إلى أزيد من 200 فيلم.

وفيما يخص المواضيع التي تتناولها معظم الأفلام الأمازيغية فقد تركزت على التقاليد والعادات الإجتماعية، إضافة إلى تيمات المرأة والهجرة والأرض والهوية، مما جعل أغلبية الأفلام تدخل في خانة الدراما الإجتماعية، كما ركّز بعضها على استثمار التراث الحكائي و الأسطوري الأمازيغي.

وإذا كانت تجربة أفلام الفيديو قد أثارت الكثير من الانتقادات بسبب ضعف إمكانياتها وانعدام الاحترافية والتكوين فإن الآونة الأخيرة ومع تطور السينما المغربية قد عرفت تطورا كبيرا للفيلم الأمازيغي، حيث ظهرت أفلام سينمائية للعرض على الشاشة الكبرى تستحق التنويه صورت بشكل احترافي من قبيل «تيليلا Tilila» للراحل محمد مرنيش و«إيطو تثريت «titrit Itto» محمد عبازي و«إزوران «Izuran» لعز العرب العلوي، وكان أول فيلم ريفي هو فيلم «تاغارابوت/ القارب»، وقد ظهر بدوره في بدايات التسعين، ويتحدث دلاليا عن وهم الهجرة وسرابها. ولم يظهر الفيلم الأمازيغي بالريف بمفهومه التقني والصناعي إلا مع الفيلم (ميغيس / المناضل) لجمال بلمجذوب، وسيناريو الحسين رامي وأحمد زاهد سنة 2012م.

لقطة من فيلم إيطو تتريث

إن الحديث عن «سينما أمازيغية» يستوجب بالضرورة القيام بحصيلة الفيلم المنتج بالفيديو من أجل تجاوز سلبيات المرحلة الأولى من ظهوره، فرغم أن أفلام الفيديو استطاعت أن تخلق لها جمهورا خاصا حيث تتناول في معظمها تيمات عديدة منها المرتبطة بالأرض والهجرة والهوية والمرأة وغيرها، مما جعل أغلبية الأفلام تدخل في خانة الدراما الإجتماعية، كما ركّز بعضها على استثمار العادات والتقاليد التي يزخر بها المجتمع المغربي إضافة إلى التراث الحكائي و الأسطوري الأمازيغي، ويعتبر هذا النوع من الأفلام الأكثر رواجا ونجاحا بسبب استقطابه لجمهور مخضرم بين البادية والحياة الحضرية، مما يدل على قوة ارتباط العائلات الأمازيغية في المدن بالتقاليد الأمازيغية الأصيلة وبالتراث الثقافي. حيث تتداول وتستهلك على نطاق واسع داخل المغرب وخارجه، إلا أن صناعة السينما تستوجب المرور إلى مرحلة أخرى من أجل تجويدها.

بعد انطلاق تجربة الفيلم السينمائي الأمازيغي التي عرفتها السنوات الأخيرة، هل يمكن الحديث اليوم عن الفيلم السينمائي الأمازيغي؟ هل بدأ هذا الفيلم يدق أبواب السينما باعتبارها صناعة فنية؟ هل يمثل الفيلم السينمائي الأمازيغي امتدادا لفيلم الفيديو؟

لقد بدأنا نلاحظ في الآونة الأخيرة ميل عدد من السينمائيين إلى إنجاز أفلام سينمائية أمازيغية تعتمد على تقنيات الفن السابع وأساليبه المتداولة. وقد ظهر ذلك جليا في المهرجان الوطني للفيلم الذي انعقد في طنجة في دجنبر 2008 الذي عرف مشاركة أفلام أمازيغية قصيرة وطويلة تعبر عن حساسية فنية أمازيغية في الصوت والصورة والديكور والملابس وغيرها من العناصر التقنية.

إن الحاجة إلى السينما الأمازيغية تتمثل في حاجة الجمهور إلى مشاهدة التنوع الثقافي واللغوي في السينما المغربية. ولهذا ينبغي توفير الدعم المادي لهذه الأفلام الفتية، ودعم السيناريو والتأليف السينمائي في الثقافة الأمازيغية وخلق شراكة للنقاش بين المتدخلين السينمائيين لبحث القضايا المرتبطة بهذه الأفلام.

كما يتحتم على السينمائيين الأمازيغ والمبدعين تطوير أدوات البحث والإبداع واستيعاب مكونات اللغة السينمائية. وهنا يطرح مشكل التكوين في مجال الفيلم الأمازيغي لأن التكوين يعتبر حجر الزاوية في العمل السينمائي الذي يعتمد على التكوين العملي والمهني في إطار مؤسساتي من أجل تطوير السينما الأمازيغية، إلى جانب الدراسة النظرية التي لا تقل أهمية عن الممارسة العملية. وبخصوص التكوين المستمر يساهم المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في هذا الإطار بخبرته في هذا المجال حيث نظم المعهد بشراكة مع المركز السينمائي المغربي ست دورات تكوينية في كتابة السيناريو باللغة الأمازيغية.

إن الانتقال من المغامرة الشخصية إلى المشروع الثقافي المتكامل والناجح والمرتبط بالمؤسسة، قد أصبح رهانا حقيقيا للانتقال بالفيلم الأمازيغي نحو التجربة الاحترافية المأمولة، لأن الفيلم السينمائي على العموم هو أداة ثقافية وجمالية هامة، لأنه بقدر ما تقدم هذه الأداة متعة المشاهدة للمتلقي فإنها تحتم على الناقد السينمائي اعتبارات عديدة لأنها مسؤولية ثقافية وتقنية وأخلاقية كبيرة لكسب رهان الجودة.

من هذا المنطلق يمكن اعتبار أن السؤال المركزي الذي ينبغي طرحه اليوم هو التالي: ما هي المنطلقات والأسس العملية التي ينبغي إرساؤها من أجل التمكين لصناعة سينمائية أمازيغية حقيقية، وترسيخ وتثبيت الهوية الثقافية .

وفي هذا الصدد نورد التوصيات الرئيسية التالية والتي تقدم بها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية خلال المناظرة الوطنية للسينما الأخيرة بخصوص النهوض بالسينما الناطقة بالأمازيغية.

على مستوى السياسة العامة للدولة:

سن سياسات عمومية من شأنها العمل على النهوض بالتنوع اللغوي والثقافي في المجالات الفنية وخاصة في مجال السينمائي، انسجاما مع مقتضيات الدستور وفي إطار الخدمة العمومية ويمكن تحفيز التظاهرات السينمائية التي تعمل وفق هذا المنظور عبر الدعم الذي تقدمه الدولة لهذه التظاهرات.

على مستوى الإنتاج

تلعب السينما دورا أساسيا في إبراز الهوية الثقافية للمغرب، من خلال الإنتاج الوطني، إلا أن السينما الناطقة بالأمازيغية والتي تعكس التعدد اللغوي للبلاد، تبقى ضعيفة الحضور على مستوى الإنتاج، ويمكن تجاوز هذا الضعف من خلال:

- سن سياسة تفضيلية تعتمد التمييز الإيجابي في مجال دعم السينما الناطقة بالأمازيغية وتأهيل مقاولات الإنتاج المتخصصة في السينما الناطقة بالأمازيغية:

- ضرورة تمكن المخرجين، المترشحين لنيل الدعم عن الأفلام الأمازيغية، من اللغة الأمازيغية ضمانا للجودة؛

- تسويق الفيلم الناطق بالأمازيغية بالخارج خاصة في البلدان التي تأوي نسبة مهمة من الجالية المغربية؛

- مساهمة التلفزيون العمومي في إنتاج الأعمال السينمائية دعما للتنوع اللغوي وبالمساواة بين اللغتين الرسميتين للمملكة؛

- العناية بالسينما الناطقة بالأمازيغية من خلال برامج إذاعية وتلفزية بهدف التعريف بها.

على مستوى المهرجانات والإشعاع السينمائي

تتيح المهرجانات السينمائية فرصة مهمة لعرض الأفلام الناطقة بالأمازيغية، ومن خلال تتبع المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية لخريطة المهرجانات الوطنية، فإن المهرجانات المتخصصة في الفيلم الأمازيغي أو التي يحتل مكانة في برمجتها، تحظى بالإقبال والتتبع الواسعين رغم إمكانياتها المتواضعة، غير أنه لا يتم عرض الأفلام الناطقة بالأمازيغية، أساسا، إلا في مهرجانات محدودة (مثل: مهرجان إسنى ن وورغ ومهرجان ورزازات ومهرجان سيدي قاسم).

ومن تمّ فإن التعريف بالسينما الناطقة بالأمازيغية ودعمها والنهوض بها، باعتبارها إنتاجا وطنيا، يحرص على إبراز الهوية المغربية بتعدد مكوناتها ويساهم في تطوير اللغة الأمازيغية عبر الصورة يستوجب:

التزام المهرجانات الوطنية بمختلف فئاتها بإدماج الفيلم الناطق بالأمازيغية في برامجها؛

دعم وتشجيع الجمعيات والأندية على أساس احترام برمجتها للإنتاجات الوطنية باللغات المغربية المتعددة؛

إشراك الفيلم الناطق بالأمازيغية في التظاهرات الدولية.

طقوس الزفاف في جبال الأطلس عراقة وأصالة*

لحفل الزفاف في منطقة إملشيل لدى قبائل آيت حديدو ولدى قبائل الأطلس الكبير الشرقي قبائل أيت يحيى في قرية تونفيت نكهة خاصة أضفتها أسطورة قصة حب رائعة لا زالت منذ زمن بعيد تسكن ذاكرة أهلها.

تحكي الأسطورة أن ايسلي الذي ينتمي إلى قبيلة آيت ابراهيم في ايملشيل وقع في حب «تيسليت» وهي من قبيلة آيت يعزى فعاش الاثنان قصة حب رائعة لم تكتمل لكون أسرة الفتاة رفضت تزويج ابنتها لحبيبها فهجر الاثنان القبيلة وشرعا في البكاء إلى أن كونت دموعهما بحيرتين سميتا باسمهما «إيسلي» و«تيسليت».[1]

لكن معاناة الشاب والشابة لم تذهب سدى، فقد كان من نتائجها، ودائما حسب الأسطورة، أن أصبحت قبائل آيت حديدو تترك لأبنائها حرية اختيار شريك الحياة.

2

* هذا المقال يعد ضمن مقالات في ملف خاص عن زفاف صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله بللا سلمى الزواج في المغرب، عادات وتقاليد يوليوز 2002. صفحتي 28 و29.

1- طقوس الزفاف في جبال الأطلس... عراقة وأصالة خديجة عزيز، موقع وكالة المغرب العربي للأنباء MAP يوليوز 2002 بمناسبة الزفاف الملكي.

2- الصورة أخذت من مقال : le moussem des fiancailles d'imilchil J.M. Zurfluh photo P.Bernard p 20 Revue RAM 1988 p.20

وانطلاقا من هذه الأسطورة بدأ موسم الخطوبة في إملشيل الذي يقام في خريف كل سنة.

فرجال قبائل الأطلس يخلدون إلى الراحة خلال شهر شتنبر، موعد انتهاء موسم الصيف، وذلك بعد شهور من الكد والجد وتكون فرصة للشبان للتفكير في الزواج.

ويبدأ التعارف بين الأزواج عادة خلال ما يسمى ب تاقرفيت حيث يتم تبادل مشاعر الحب والود بين الفتى والفتاة، وغالبا ما ينتهي ذلك بالاتفاق على الزواج.

وبخصوص "تاقرفيت" «-taqrfit أو التفاوض بالحب كوسيلة لاختيار شريك الحياة في مناطق الأطلس فهي تراث متجذّر في ثقافة العديد من القبائل الأمازيغية وهي كلمة تتكون من جذر (ق+ر+ف) التي تحيل على «أقراف»، أي البرد. ومن هنا، يمكن فهم مفهوم «تاقرفيت» على أنها «التبريد» أو الترويح عن النفس أوالتهذيب للرغبة العاطفية الجامحة، وهي أسلوب من أساليب التعارف بين الشاب والشابة كما تؤكد عن عمق الانفتاح الذي يسود بعض المجتمعات الأمازيغية، فهي تعبير عن أنبل المشاعر والعلاقات الإنسانية بين شباب القبائل الأمازيغية.

فالفتاة مدعوة من خلال «تقرفيت» للمساهمة في اختيار زوجها، إذ تشكل محور بناء المؤسسة الزوجية وفق أعراف القبيلة وتقرفيت هي تعبير أمازيغي يفيد ذلك الاختلاط بين الذكور والإناث من الشباب في منطقة الجنوب الشرقي للأطلس الكبير وبالخصوص عند قبائل «أيت حديدو» في منطقة «أسول» أملاكَو» وآيت هاني «تامستوشت» و«تينغير» وقبائل أخرى عديدة وتسمى لدى بعض قبائل الأطلس الصغير ب «الصقر».

وتنطلق مراسيم الزفاف بتوجه مبعوثي العريس (خمس نساء وخمسة رجال) ويسمون «إمسناين» باللهجة المحلية إلى منزل العروس ليقدموا لها الهدايا التي تكون عادة عبارة عن خروف وملابس ورغيف كبير يسمى «أبادير» ويصنع عادة من قبل الرجال الذين يقومون بطهيه وفق الطريقة التقليدية.

ويوزع الرغيف على الحاضرين، كرمز للتعارف والمودة، كما تقدم مختلف الأطعمة لهؤلاء الضيوف من قبل أهل العروس. وتتكون تلك الأطعمة من الزبدة والعسل والحليب إضافة إلى وجبات أخرى تتكون من طبق من اللحم.

وبعد ذلك يأتي بالعروس إلى حفلة الحناء وخلال هذه المراسيم تشرع النسوة في ترديد الأغاني والأشعار المحلية إلى جانب الرجال في رقصة «أحيدوس» الشهيرة.

وتقوم امرأة مسنة بتزيين أيدي العروس بالحناء وتلبس هاته الأخيرة لباسا أبيضا يسمى «إيقيدور» إضافة إلى «سبنية» من الحرير ذات لون أحمرر أو أصفر وبعد ذلك تضع العروس إزارا وحلي تتكون من قلائد لوبان أصفر وبلغة مزينة بالموزون والفضة.

وعندما تهم العروس بالخروج من بيت أهلها يقوم والدها بوضع برنسه «أزنَّارْ» تحت قدميها لتقوم بالسير عليه، ويرمز هذا التقليد إلى مباركة الأب زواج ابنته. وبعد ذلك تقوم النسوة بترديد مواويل عند خروج العروس من منزل أهلها. وعندئذ يحيط بها الشبان من أقاربها وتمتطي جوادا ووراءها طفل صغير وهو يرمز إلى تمنياتها بالبنن والعيش الهني. كما تصحب معها الهدايا التي كانت قد قدمت لها أثناء حفلة الحناء.

ويأتي العريس وهو يرتدي زيا تقليديا «برنس وجلباب أبيض اللون وعمامة وبلغة بيضاء» ويمسك بلجام الجواد الذي تمتطيه عروسه وينهال عليه أقاربه وأخوة العروس بالضرب الموجع أحيانا وهذا يرمز إلى مدى تحمل العريس للمشاق وقدرته على حماية عروسه.

وبعد ذلك يتوجه الجميع إلى بيت الزوجية ويتم الترحيب بمقدمهم ثم يهتز البيت على ايقاعات رقصة أحيدوس. وقبل أن تدخل العروس إلى بيتها الجديد تقوم برش الحضور بالحليب رمز المحبة والصفاء اللذين يؤمل أن يسودا حياة الزوجين.

محمد رويشة ذكرى رحيل فنان ظل حاضرا بقوة

تحمل الذاكرة الفنية بالأطلس المتوسط علامات جمالية رصعتها أغاني أمازيغية بمختلف الألوان والأشكال، وبقيت شاهدة ولازالت على عطاء إبداعي زاخر، قدمتها أصوات فنية جميلة من كل ربوع الأطلس الشامخ، ممثلة بذلك موروثا فنيا أصيلا. ومع مرور الزمن، أصبحت بعض الأصوات الفنية تتجاوز مستوى المحلي إلى العالمي وتؤدي بذلك دورا دبلوماسيا فنيا حتى لقب البعض منهم بسفراء الأغنية الأمازيغية في العالم، ومن بين الأسماء التي تركت بصماتها في الذاكرة الفنية داخل الوطن وخارجه، المرحوم محمد رويشة الذي تمكن من ترك لمسة سحرية في وجدان المغاربة عن طريق أغانيه التي تجاوزت حدود الوطن.

الفنان محمد رويشة، المولود عام 1950 بخنيفرة، والذي انقطع عن الدراسة عام 1961 بسبب ولعه الشديد بنغمات آلة "لوتار"، ظل غزير العطاء بشكل غير مسبوق، حيث دخل عالم الفن في سن لا يتجاوز الرابعة عشرة عندما أطلق أغنيته الشهيرة "بيبي

ووسغوي"، وما لبث أن لمع اسمه بين شركات التسجيل وفضاءات المسارح واستوديوهات الإذاعة والمهرجانات والتظاهرات العالمية، كما التقى بمئات الفنانين والمغنين والمبدعين، وأنتج المئات من الأغاني الأمازيغية والعربية.

ومن الأفكار الإبداعية الرائدة التي ساهم فيها »سمفونية فزاز» لآلة الوتر (نحو 27 عازفا على الوتر و10 عازفين على آلة البندير مع ترديد «تاماوايت» بأصوات نسائية) وذلك سنة 2010 وهي الفكرة التي نفذتها جمعية «أنازور» للثقافة وتنمية الفنون الأمازيغية بشراكة مع وزارة الثقافة، وبتنسيق مع جمعية «أمان» لتنمية المرأة القروية وبتعاون مع المسرح الوطني محمد الخامس بالرباط.

قال عنه الباحث في الثقافة الأمازيغية المكي أكنوز» إن محمد رويشة سابق لزمانه في فهم آلة «لوتار» فهمًا عصريا مجددا (...) نعم كانت نبراته تحلق بِنَا إلى سكوت يتخطى عنصر الدهشة الممتعة والطرافة المبهرة إلى نوع من الوجدان الروحي الصوفي الساحر الأخاذ، والذي لم نكن نملك له إلا الإصغاء المطلق، وذلك لأنغامه البسيطة العميقة البليغة الإنسيابية، كانت تتسلل في يسر وشفافية إلى القلوب قبل الأسماع، لأنه كان يستوحي من الناس ما يقدمه للناس ويكلفه مرفوعة وعشاق ألحانه الأصيلة. يعرفونه حق المعرفة، لأنه كان ينهل من معين لا ينضب، لأنه كان يمثل الحضور المغربي الفني الموسيقي الملتزم والواعي...»

جسد الراحل محمد رويشة ظاهرة استثنائية فريدة من نوعها في حياتنا الثقافية والفنية، فهو علاوة على إبداعاته الغنائية التي ذاع صيتها وطبعت مرحلة بكاملها، يعد شخصا في غاية التواضع ونكران الذات، إنه ابن الأطلس الشامخ الذي ظل يعيش حاملا معه قيم ثقافة عريقة، معتدا بذاكرته التي أسهمت بشكل واضح في تشكيل رؤيته الفنية، هذا الفنان الكبير بإسهاماته المتميزة في دروب الفن الأمازيغي الراقي الذي عانق خلاله آلة «لوتار» رفيقة دربه، حيث صدحت حنجرته بأغنيات راقية استلهمت كلماتها وموسيقاها من تراث حي وزاخر، ولهذا كانت تخترق الوجدان وتسمو بالإنسان إلى عالم الذوق الفني الرفيع.

محمد رويشة صنع بأنامله سحر الحب والحياة والألم والوجدان والطبيعة والأرض، وعزف لآلام الإنسان وقضايا التحرر والسلام والعدل والشعوب المستضعفة، ورغم عصاميته قاده نجمه الساطع إلى معانقة الشهرة في ظرف وجيز.

لقد رحل هذا الفنان بعد مشوار طويل مع الفن والأغنية الأمازيغية الأطلسية، والعطاء المليء بالأحاسيس الساحرة والمتجذرة في تربة الأصالة المغربية العميقة، والملتزمة بقضايا وهموم الإنسان، وقد تميز اسمه في المشهد الفني من خلال ألحانه وكلماته الصادقة، دون تخليه عن سلوكه المتسم بالتواضع والتسامح والابتسامة والحكمة والعفوية والبلاغة والكرم وحب الناس، وعاش بين جيرانه تحت سقف بيت متواضع بحي شعبي بمدينة خنيفرة التي كان يحبها حتى النخاع، وهو الذي ظل «سفيرها» بامتياز إلى كل الأصقاع وحتى آخر ثانية من عمره.

فبعد 6 سنوات من وفاته في 17 يناير 2012، ودعنا بعيون باكية وقلوب خاشعة هذا الهرم الفني الأصيل، تاركا ربرتوارا غنيا من الأعمال الموسيقية والغنائية التي كتب لها الخلود.

عاش المرحوم محمد رويشة حياته كلها نموذجا للوعي الجمعي المنضوي في ذات فردية، وكان من أسرار نجاحه شعور الناس بأنهم يتكلمون على لسانه، سواء بالشعر أو بالألحان والنغمات، كانت حياته الفنية سفرا طويلا داخل سراديب الذات الإنسانية، لكي يعبر بصوت الفنان الرصين والعميق، عن كل القضايا الإنسانية المشتركة، فتجاوز بذلك حدود المحلي إلى الوطني والكوني.

أن نتحدث عن محمد رويشة، يعني أن نتحدث عن الثقافة الأمازيغية بمجملها، في شموخها وجماليتها، ولهذا أحبه الصغار والكبار وكنّ له الجمهور تقديرا قل نظيره، حيث غنى معه الناس بعفوية ومتعة: «شحال من ليلة وعذاب»، «أكي زورخ أسيدي يا ربي جود غيفي»، «يا مجمع المؤمنين»، «قولوا لميمتي»، «أيورينو»، «الحبيبة بيني وبينك دارو الحدود»، و«صلوا على أبو فاطمة»، و«تبرم اساعت».

إنه بمثابة نص مفتوح على العالم، وبرائعته «إيناس إيناس» التي تعدّت حدود الوطن، استطاع أن ينتزع إعجاب المغاربة ناطقين وغير ناطقين بالأمازيغية، كما لفت انتباه الأجانب كذلك، الذين لم يفتهم أن يلمسوا تميز الألحان والأداء في أغاني رويشة.

كان رويشة رحمه الله يجمع بين الأمازيغية والدارجة في كلمات أغانيه، وكأنه بذلك يجمع المغرب من أطرافه، فغنى للوطن بكل جباله ووديانه وسهوله وصحاريه، ما وضعه في مكانة فنية مرموقة. وقد أدى به نبوغه في العزف على آلة «لوتار» إلى أن يضيف وتراً رابعاً إلى هذه الآلة شأن كل العباقرة الذين تجاوزوا المألوف. كما أن طريقته في العزف كانت تخلق لحظة من التسامي تقرب إلى الروحانية الصوفية. وقد نال العشرات من الشهادات التقديرية والجوائز والميداليات، كما تم تتويجه بـ«الخلالة الذهبية» من طرف المجلس الوطني للموسيقى التابع لليونسكو.

خلّف محمد رويشة تراثا زاخرا من فنه المتميز، وهو يستحق اليوم ـ وإن كنا لا نوفيه حقه مهما فعلنا ـ أن تحمل إسمه قاعات وشوارع وأماكن عمومية بربوع المملكة، كما يستحق أن يُعرّف به في المقررات الدراسية، ويستحق أيضا أن يقوم الباحثون بسبر أغوار فنه وإظهار ملامح عبقريته في دراسات وأبحاث أكاديمية، ومؤلفات تبقى منارا للأجيال القادمة.

في الذكرى الـ16 لخطاب أجدير التاريخي

يعد المغرب نموذجا متميزا في مجال تدبير التنوع اللغوي والثقافي عموما والنهوض بالأمازيغية على وجه الخصوص، سواء في التعليم والإعلام أو الإبداع الثقافي. وقد بوأه هذا مرتبة خاصة على الصعيد الدولي في اليونيسكو وعدد من المؤسسات الدولية التي تدعو إلى العناية بالإرث الثقافي الإنساني في مختلف بلدان العالم.

ولقد شكل خطاب العرش (30 يوليو 2001) بداية لسياسة جديدة قائمة على الاعتراف والاعتزاز بتعددية مكونات الثقافة الوطنية، وعلى المكانة الأساسية التي تحتلها الثقافة الأمازيغية وسط باقي المكونات، في الوقت الذي كانت فيه قبل هذا التاريخ في وضعية الهامش المنسي.

كما مثل الخطاب الملكي السامي لأجدير بتاريخ 17 أكتوبر 2001، الذي ألقاه صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله بحضور مختلف الفاعلين في مجالات عديدة، منها أطراف سياسية ونقابية واقتصادية، وفاعلون في المجتمع المدني والديني في منطقة أجدير التاريخية التي شهدت من قبل أحداثا مهمة في تاريخ المغرب، منعطفا مهما في تاريخ المغرب، وخصوصا بالنسبة للأمازيغية لغة وثقافة؛ إذ نص الخطاب على مبادئ أساسية اعتبرت خطوة مهمة نحو الدمقرة اللغوية والثقافية في المغرب.

وقد تقرر انطلاقا من هذه التوجهات الجديدة إنشاء المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية الذي تحددت مهامه في الظهير المنشئ والمنظم له الذي ينص على «النهوض بالأمازيغية؛ وذلك عبر إدراجها في المنظومة التربوية وضمان إشعاعها في الفضاء الاجتماعي والثقافي والإعلامي الوطني والجهوي والمحلي».

وقد اعتبر تأسيس المعهد بمثابة إحياء وبعث للثقافة الأمازيغية ولغتها التي كانت مهددة بالانقراض؛ حيث عبر الخطاب الملكي السامي رسميا على أن الأمازيغية «مسؤولية وطنية لكل المغاربة» وليست حكرا على طرف دون غيره، مما يعني أنها

لا تهم بعض المغاربة دون بعض، كما اعتبرت ذات جذور عميقة في تاريخ المغرب تجعل منها عنصرا جوهريا في تحديد هوية البلاد وشخصيتها الثقافية. كما كان من أهم مضامين خطاب أجدير تأكيده على أنّ الأمازيغية ترتبط بمشروع «المجتمع الحداثي الديمقراطي»؛ حيث لا ديمقراطية بدون الهوية الثقافية.

واليوم إذ يُحتفل هذه السنة بالذكرى الـ16 لتأسيس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، بعد مرور أزيد من عقد ونصف على خطاب أجدير التاريخي، يمكن القول بأنه مقارنة مع أمس، نستنتج أن الرصيد المتحقق من طرف المعهد يعد تراكما كميا ونوعيا غير مسبوق، نذكر منه على مستوى التعليم إدراج الأمازيغية في المدرسة المغربية وتأليف منشورات بلغ عددها 314 إصدارا، بالإضافة إلى 12 عددا من مجلة «أسيناك»، المجلة العلمية للمعهد، وهذه الإصدارات متوزعة على مجالات اللسانيات الأمازيغية والبيداغوجيا والديداكتيك والدراسات الأدبية والفنية والدراسات التاريخية والبيئية والأنثروبولوجية والسوسيولوجية والترجمة والتوثيق والنشر والتواصل والسمعي البصري وكذا في مجال الدراسات المعلوماتية وأنظمة الإعلام والتواصل.

وبعد دخول عامها السابع، تظل قناة «تمازيغت» القناة الوحيدة التي تنتج 90 في المائة من برامجها بالأمازيغية، مما جعلها تستقطب جمهورا هاما كان من قبل متعطشا لمشاهدة برامج تلفزيونية بلغته الأم، ما أعاد الاعتبار لشريحة مهمة في المجتمع المغربي، وخاصة في المناطق الجبلية المحرومة من وسائل التثقيف والترفيه.

على مستوى الانفتاح على المحيط الخارجي قام المعهد بعقد شراكات مع عدد كبير من الجمعيات العاملة في مجال النهوض بالأمازيغية في إطار دعمها، كما قام بمنح جوائز للثقافة الأمازيغية منذ سنة 2005 تشجيعا للمبدعين والفنانين، إضافة إلى دورات تكوينية في الإعلام السمعي البصري، وكذا في المجال التربوي وغيره.

بعد هذه المكتسبات على سبيل المثال لا الحصر التي تحققت، جاء دستور المملكة 2011، الذي ينص في فصله الخامس على ما يلي: «تعد الأمازيغية أيضا لغة رسمية للدولة باعتبارها رصيدا مشتركا لجميع المغاربة بدون استثناء يحدد قانون تنظيمي مراحل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية وكيفيات إدماجها في مجال التعليم

وفي مجالات الحياة العامة ذات الأولوية وذلك لكي تتمكن من القيام مستقبلا بوظيفتها بصفتها لغة رسمية»، الشيء الذي يعد ثمرة نضال مدني للفاعلين الأمازيغيين من جهة، ونتيجة عمل أكاديمي علمي في تهيئة الأمازيغية ومعيرتها وتنميط حرفها من طرف المعهد من جهة أخرى.

وقد أطلق هذا الاعتراف الدستوري برسمية اللغة الأمازيغية دينامية اجتماعية كبيرة منذ سنة 2012، تمحورت جهودها حول مناقشة مضامين القانون التنظيمي المرتقب، وهو النقاش الذي استمر بعد أن قامت الحكومة بصياغة مشروع قانون تنظيمي لتفعيل الطابع الرسمي للغة الأمازيغية، القانون رقم 16-26، وكذا قانون تنظيمي خاص بالمجلس الوطني للغات والثقافة المغربية، وهما المشروعان اللذان اعتبرهما المجتمع المدني الأمازيغي والحقوقي بعيدين عن منطق استحضار متطلبات إعمال الدستور والالتزامات الرسمية لبلادنا، وكذا مكاسب المصالحة اللغوية والثقافية منذ 2001، حيث لم تعتمد في وضعهما المقاربة التشاركية؛ إذ تم تهميش المجتمع المدني والجمعيات العاملة في هذا المجال، مما جعل القانونين بعيدين عن المكتسبات والتراكمات الإيجابية المتحققة.

في ظل هذه المتغيرات، نتساءل هل من منفذ لإطلاق مسلسل المأسسة الفعلية للأمازيغية في كل قطاعات الحياة العامة، وذلك بناء على التجارب والخبرات والمكتسبات المتراكمة منذ 16 سنة، أي منذ انطلاق أشغال المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية الذي يظل إطارا مرجعيا رسميا لا غنى عنه في تدبير موضوع اللغة والثقافة الأمازيغيتين داخل المؤسسات؟

المجتمع المدني الأمازيغي وديناميةالشراكة مع المؤسسات العمومية

يشكل المجتمع المدني ذلك «الحيز الموجود في مسار تنظيم المجتمع وتأطيره، كما يعد النسيج الاجتماعي والفعاليات الجمعوية والهيآت المدنية والآليات غير المؤسساتية التي تشتغل إلى جانب السلطات العمومية والمجالس المنتخبة، وبموازاة هيئاتها الرسمية، لكن ليس تحت مظلتها»[1]

وقد عرف بلدنا حواراً وطنياً حول الشراكة مع المجتمع المدني يقدم تجربة كبيرة في مجال التعاطي مع الشأن المجتمعي، باعتباره قوة اقتراحية، ورافعة أساسية للارتقاء بالمشاركة المدنية إلى مستوى الفعل في إطار الديمقراطية التشاركية، بوصفها إحدى الأسس التي يستند عليها الدستور الذي أقره المغاربة في فاتح يوليوز 2011، والذي أكد على أهمية دور المجتمع المدني، وذلك بإعطائه دورا أكبر من خلال إشراكه في إعداد السياسات العمومية وتمكينه من أدوار جديدة. في هذا السياق ينص الفصل 12 على أنه «تُساهم الجمعيات المهتمة بقضايا الشأن العام، والمنظمات غير الحكومية، في إطار الديمقراطية التشاركية، في إعداد قرارات ومشاريع لدى المؤسسات المنتخبة والسلطات العمومية، وكذا في تفعيلها وتقييمها».

ويكتسي الحوار الوطني حول المجتمع المدني، وأدواره الدستورية الجديدة طابعاً إستراتيجياً لكونه ينخرط في رؤية عصرية وحداثية تستجيب لحاجات وانتظارات الحركة المدنية والجمعوية المغربية باعتبارها فاعلا أساسيا في البناء الديمقراطي كما يندرج ضمن رؤية مسؤولة تسعى إلى تقوية أدوار المجتمع المدني وتبويئه المكانة التي يستحقها. بحيث خصه الدستور الجديد بأدوار ومهام مهمة، يعكس فعالية ونجاعة عمل المجتمع المغربي وتماسك وتضامن كل مكوناته وتطلعها إلى النهوض بأوضاع الفئات الهشة والمعوزة وتحقيق العدالة الاجتماعية.

1- الحوار الوطني حول المجتمع المدني والأدوار الدستورية الجديدة «التقرير التركيبي ص 52 منشورات الوزارة المكلفة بالعلاقات مع البرلمان والمجتمع المدني، أبريل 2014.

ومن ويكيبيديا، الموسوعة الحرة يشير مصطلح المجتمع المدني إلى كل أنواع الأنشطة التطوعية التي تنظمها الجماعة حول مصالح وقيم وأهداف مشتركة. وتشمل هذه الأنشطة المتنوعة الغاية التي ينخرط فيها المجتمع المدني تقديم الخدمات، أو دعم التعليم المستقل، أو التأثير على السياسات العامة.

كما يعد المجتمع المدني رافعة من أجل وضع لبنات التنمية الاجتماعية في فضاء عمومي مفتوح، تحكمه قيم المواطنة ومبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان.

ورغم كل التعثرات والخلافات التي ظهرت في النقاش العمومي حول الشراكة بين الحكومة والمجتمع المدني، وذلك بسبب الصراعات الإيديولوجية بين التيارات المختلفة، فإن هذه الشراكة رغم ذلك تعدّ من المبادرات المهمة في تذليل الصعاب بين المواطن والإدارة إضافة إلى أنها تشكل إحدى لبنات تعزيز الديمقراطية ببلادنا.

وإذا كان المجتمع المدني مجالا للتربية على المواطنة فإن الساكنة تعد فاعلا في التنمية المستدامة، وهو التصور الجديد حول الأدوار التي يتعين على المجتمع المدني أن يلعبها. والتي تهم أساسا تحقيق مساهمة فعالة للمجتمع المدني في السياسات العمومية المتعلقة بالسكان.

وقد كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن العمل الجمعوي الأمازيغي، حيث تمحور النقاش خاصة حول الدور الذي يمكن أن تلعبه الجمعيات الأمازيغية في إبراز دور التعدد اللغوي والثقافي في التنمية المستدامة، وكذا في تطوير أساليب عملها وإمكانيات تجويد آدائها التشاركي مع المؤسسات العمومية، وكذا تعميق الحوار في آليات وأساليب تطوير عملها في مجال النهوض بالثقافة واللغة الأمازيغيتين.

إلا أنّ أهم تحد يطرح أمام النسيج الجمعوي الأمازيغي هو إشكالية التكوين والتكوين المستمر، من أجل أن يكون هذا النسيج في مستوى التحديات التي تطرح في عصر العولمة، وأن يكون كذلك أداة الابتكار بخصوص المضي قدما نحو العالمية. وفي هذا الصدد يعد التكوين والتأهيل أهم الأسس لنجاح أي عمل جمعوي، حيث يكتسب الفاعلون النشطون مهارات وخبرات جديدة مما يمكنهم من الرقي بأساليب عملهم

وتوسيع مجالاته، والخضوع لمعايير الحكامة الجيدة وحسن التدبير، حتى يرتكز العمل الجمعوي على قيم المواطنة والتشارك الفعال ذي المردودية. مما يزيد من مصداقية النسيج الجمعوي الأمازيغي ويقويه ويمكنه من مواجهة التغيرات الجارية.

إن العمل الجمعوي الأمازيغي في الوقت الراهن أصبح عملا يوميا يتطلب تسييرا إداريا وتفرغا وتكوينا يرقى إلى المستوى المؤسساتي. فالتكوين أساسي في هذا المجال لمعالجة إشكال التتبع والتقويم ولكن ذلك سيكون صعبا إذا لم يتم في إطار مأسسة للعمل الجمعوي ليضمن له استمرارية وفاعلية يومية من خلال طاقم إداري وفريق ميداني، إضافة إلى تأهيل الحياة الجمعوية بقواعد جديدة لتكون مؤسسات شريكة في القرار والتفكير والتدبير والتقييم.

وإذا كانت ظروف عمل العديد من الجمعيات لا تسمح بهذا التحول الهام، فإن البدء بتكوين الأعضاء النشيطين هو الخطوة الأولى في ذلك الاتجاه.

ومن جهة أخرى فالتحدي الكبير أمام النسيج الجمعوي الأمازيغي هو البحث عن خارطة طريق لتنفيذ برامج التنمية المستدامة لأن النسيج الجمعوي أضحى فاعلا رئيسيا في بلورة السياسات العامة لصالح العنصر البشري في مختلف المناطق وخاصة المهمشة منها ، ويعدّ العامل الثقافي الهوياتي الأمازيغي رافعة لإنجاح هذا الرهان، وهذا ما يجعل موضوع تعليم الأمازيغية أحد أهم الأولويات في الشراكة بين المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية والجمعيات العاملة في مجال النهوض بالأمازيغية، وكذا العناية بشؤون الطفل وقضايا المرأة، والتعريف بالحرف الأمازيغي تيفيناغ وبمختلف رموز الثقافة الأمازيغية بالإضافة إلى مجالات أخرى عديدة.

وأهم الرهانات والتحديات التي تطرح الآن أمام النسيج الجمعوي هو كيفية المحافظة على الموروث الثقافي الأمازيغي أمام زحف وتحديات العولمة بكل مظاهرها، ولتحقيق تلك الغاية يجب أن يعمل الفاعلون الجمعويون على تعميق مضامين الثقافة الأمازيغية وقيمها في النفوس والأذهان عبر تأطير الساكنة في مختلف الجهات، ولعل أهم ما جاءت به التحولات الأخيرة ظهور عدد كبير من الجمعيات التنموية الأمازيغية التي تعمل في المناطق المهمشة، والتي استطاعت أن تربط بشكل موفق بين التنمية

وعمقها الثقافي، وهو رهان هام جدا يتوقف عليه تحول الأمازيغية إلى وعي شعبي ذي امتداد في المجتمع.

لقد عرف العمل الجمعوي الأمازيغي مراحل تطور عديدة، سواء على مستوى الخطاب أو التنظيم، وهو اليوم يتجه نحو تحديث آلياته استجابة لحاجات المرحلة وتحدياتها، ولعل أهم ما تحققه الشراكة بين الجمعيات والمؤسسات العمومية ومنها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، هو إيجاد التصور المشترك الذي يخلق التكامل المطلوب بين الطرفين من أجل أن تتحول الأمازيغية إلى دينامية اجتماعية شاملة، مما يشكل أحد العوامل التي تضمن تأثيرها وبقاءها.

وبخصوص الإستراتيجية العامة للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الهادفة إلى النهوض بالأمازيغية، لغةً وثقافةً وهويّةً وحضارة، والحفاظ عليها، وتطويرها في كل المجالات، وجعلها من رافعات بناء مجتمع مغربي حداثي ديموقراطي؛ فقد تم أخذ بعين الاعتبار دور المجتمع المدني باعتماد مبدأ كون الأمازيغية قضية وطنية ومسؤولية ملقاة على عاتق الجميع وكل الفاعلين، لصياغة استراتيجية شمولية ومتكاملة توجه عمل المؤسسة في كافة مجالات اختصاصها؛

كما تمّ اعتماد مبدأ إيلاء الأهمية لانفتاح المؤسسة على محيطها، من خلال العمل على إشراك المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية والمنظمات المدنية المعنية بإدماج الأمازيغية في المنظومة التربوية ومجالات الإعلام والاتصال والثقافة والعدل، والشأن العام الوطني والمحلّي؛

ومن هذا المنظور المتكامل تمّ إشراك الهيئات الأكاديمية والعلمية والباحثين والمبدعين، وتنظيمات المجتمع المدني، من جمعيات ثقافية وتنموية ومنظمات حقوقية ونسائية وبيئية ومنظمات الطفولة والشباب، وغيرها، حتى يساهم الجميع، كل من موقعه، في نهضة الأمازيغية بكافة تجلياتها وتعبيراتها.

بالإضافة إلى ما ذكرنا تمكن الشراكة مع المجتمع المدني الجمعيات العاملة في مجال النهوض باللغة والثقافة الأمازيغية من تحقيق أهدافها ومشاريعها، قصد تفعيل

الحركة الثقافية في المحيط الذي تتواجد فيه. كما تمكن من تشجيع الجمعيات على العمل الميداني وتقديم مشاريع وبرامج قابلة للتنفيذ؛ باعتبارها شريكا ذا قوة اقتراحية لها وزنها في الساحة الاجتماعية والثقافية.

وبخصوص حصيلة الشراكة بين المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية والمجتمع المدني كفاعل أساسي في البناء الديمقراطي والتنموي.

نقدم في ما يلي معطيات إحصائية برسم السنوات 2005 - 2013 اعتمادا على المعطيات المتوفرة لدى الأمانة العامة بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية .

عدد الجمعيات التي أبرم معها المعهد عقود شراكة حسب كل سنة:

Répartition des associations bénéficiaires par province (2005 - 2009)

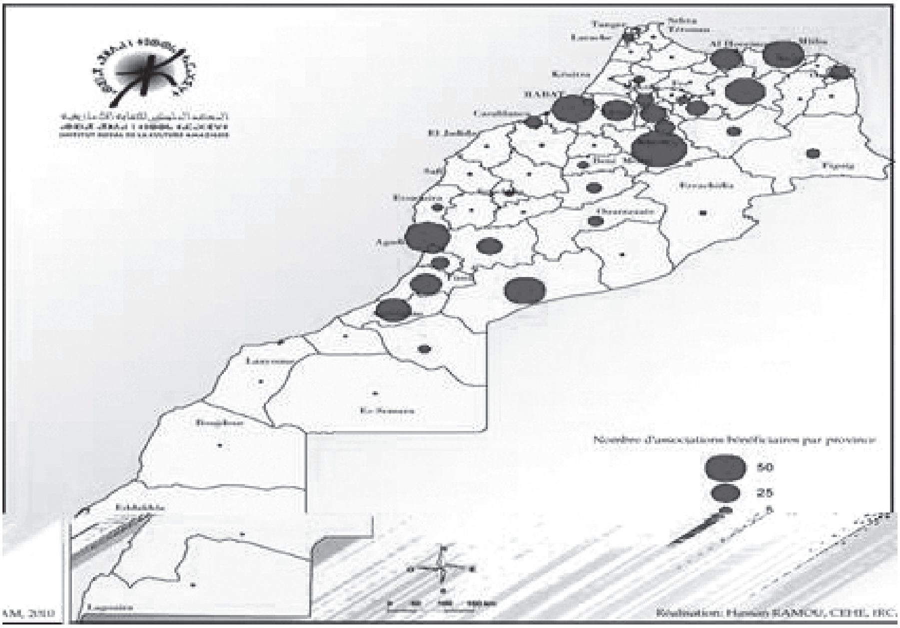

مجموع ملفات طلبات الشراكة المتوصل بها

2005 : 34 طلب، تم قبول 34 مشروعا.

2006 : 146 طلب، تم قبول 111 مشروعا.

2007 : 242 طلب، تم قبول 188مشروعا.

2008 : 250 طلب، تم قبول 198 مشروعا.

2009 : 600 طلب، عدد الملفات المتوصل بها في الآجال المحدد في الإعلان 415 عدد الملفات المستوفية للشروط 260 ملف من حيث الوثائق.

سنة 2010: 402 طلب، تم قبول 287 مشروعا.

2011: 730 طلب، تم قبول 381 مشروعا.

2012: 1041 طلب، تم قبول 431 مشروعا.

- **2013: 880 طلب، تم قبول 314 مشروعا.**

المشاريع المنجزة من قبل الجمعيات

في إطار الشراكة مع المعهد برسم السنوات التالية 2005-2013

الأنشطة المنظمة	عددها
الملتقيات الثقافية الفكرية	754
تعليم الامازيغية وحروف تيفيناغ ومحو الأمية	440
مهرجانات وأمسيات فنية	636
الأنشطة الموجهة للطفل	143
الأنشطة الموجهة للمرأة	66
المسرح (عروض، إنجاز وإعداد، ورشات تكوينية)	207
المخيمات الصيفية	39
مهرجان الفيلم الأمازيغي	42

الحصيلة العامة

العدد الإجمالي للمشاريع الممولة 2150

الوسط : 943

الجنوب 823

الشمال 384

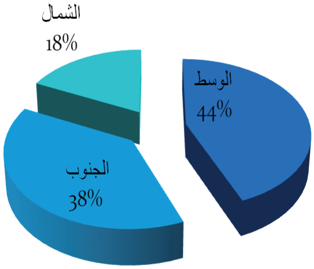

من خلال ما سبق نستنتج ما يلي:

- أن العمل الجمعوي وبفضل مقتضيات الدستور يمكن أن يلعب دورا أهم وذلك اعتمادا المقاربة التشاركية والتشاور.

- أن الحوار الوطني حول المجتمع المدني يشكل الحجر الأساس للدفع قدما بالعمل الجمعوي، إذا ما استطاع أن يستوعب جميع الأطراف الفاعلة في الساحة .

- أن المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في إطار انفتاحه على محيطه وفي سياق العمل التشاركي من أجل النهوض بالأمازيغية وفي نطاق استراتيجية المعهد القائمة على ربط الثقافة بالتنمية البشرية، ببذل قصارى جهوده من أجل الإسهام في تأهيل المجتمع المدني، الذي يعد رافعة أساسية لتحقيق التنمية الشاملة والدائمة، وكذا الإسهام بشكل واضح في دينامية النهوض بالأمازيغية وخاصة في المناطق النائية التي تعاني من نقص كبير في البنيات التحتية وفي الإمكانيات المطلوبة لإنجاح مشاريع التنمية.

قراءة في تجربة المسرح الأمازيغي بين الأمس واليوم

يعد المسرح عروض فنية، وفطرة راسخة عند الشعب المغربي، وشكل من أشكال وعيه وشعوره» فالمسرح في مفهومه الواسع هو سلسلة من الأشكال الفرجائية التي عرفها المجتمع المغربي حيث تجدرت عبر تاريخه وفي تراثه الشفاهي»[1] فكانت فرجاته الشعبية حيث يبدع الفنان من خلالها الحكايات والأسطورة والرقص والأغنية، وهي أشكال ما قبل المسرحية كـ «الحلقة» وهي فرجة شعبية منفتحة في تواصلها مع الجمهور و«البساط» والبسط في الدارجة المغربية يعني الانشراح، والبساط هو تمثيل مرح يعتمد على الحوار وسيدي الكتفي الذي يعتمد على تشخيص القضايا ذات العلاقة بالطرف الصوفية وزواياها، و«سلطان الطلبة» وهو مسرح مرتبط بطلبة جامعة القرويين، وبوجلود وهو مهرج مسرحي، ومختلف الرقصات الشعبية كأحواش وأحيدوس وغيرها هذه الأشكال الفرجائية تمارس في فضاءات المدن والقرى.

ومن جهة أخرى فهذه العروض الفنية تعد المنابع الأولى لظهور المسرح المغربي الذي شهد تطورا مهما على يد مجموعة من رموزه ومبدعيه عبر التاريخ الذين استفادوا من التكوين والاحتكاك مع التجارب الأجنبية.

فماذا نعرف عن المسرح الأمازيغي؟

عرف المسرح الأمازيغي عدة تغيرات منذ أن نشأ في عهد الرومان إلى الآن، وأن الأمازيغ عرفوا الظواهر المسرحية التقليدية إلا أنها تعرضت للتقويض في مرحلة الاستعمار ليتقنن بعدها، وهذا ما تدل عليه البنايات المسرحية والأعمال القديمة التي لازالت شاهدة إلى اليوم، وفي مرحلة الستينات والسبعينات حاول مجموعة من الباحثين الأمازيغ العودة إلى ذلك التراث لإحيائه لتأتي بعد ذلك فترة التسعينات وما بعدها لنرى بعض بواعث التجديد تأليفا وتمثيلا وإخراجا.

1- محمد أديب السلاوي المسرح المغربي جدلية التأسيس، منشورات مرسم، مطبعة بورقراق، 2010، ص: 24.

إن الإرهاصات الأولى للمسرح الأمازيغي هي تلك الأشكال الاحتفالية، التي كانت تقام في المناسبات التي عرفها الأمازيغ منذ عصور مضت. فمثلا في الأطلس المتوسط عرف هذا الفن في الأسواق الأسبوعية وهي عبارة عن تجمع دائري بإحدى الساحات العمومية يقف فيها الشاعر «أَمْدْيَازْ» - ومساعده وسط الناس، يقصان على الجمهور بالتناوب قصص البطولات والأساطير وقد يصل تجاوبه المستمر مع الجمهور إلى اتساع الدائرة لحظة بعد أخرى، ويقف جموع غفير من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ، يركزون انتباههم حول حكايات الراوي/الممثل.../ المؤلف عن أولائك الأبطال الذين يحاربون باستمرار لإثبات حضورهم. كما يختلط على جدارية الحكايا السردية الإنسان والحيوان... ثم هناك فرقة «بوغانيم» بالأطلس المتوسط نسبة إلى رئيس المجموعة كمظهر من مظاهر الفرجة.

وتتضح الرؤية، إذا أمعنا النظر في عروض فنية أمازيغية أخرى يمكن أن نعتبرها البداية الحقيقية لمسرح تلقائي متجذر في الحضارة المغربية، ونعني بذلك المسرح العاكس لبعض تقاليد المجتمع الممتدة في بعض إيقاعاته الجسمانية للإنسان المغربي خلال الأعياد والاحتفالات الشعبية، وتعتمد على وسائل تعبيرية مثل الإيماء، والرقص والحركة وهذه التظاهرات يمكن أن نسميها بالأشكال الما- قبل المسرحية.

إن ما تزخر به الحياة اليومية من تقاليد وفنون وحركة وإبداع تشكل بشكل أو بآخر، فرجة تساهم في إثراء موروثنا الوطني الغني. فمثلا فضاء الفرجة المكاني لأحواش يتمثل في «أسايس» أي المرقص، وهو مكان منبسط يتم اختياره وسط القرية وأن مظاهر إعداد المكان الذي سيقام فيه أحواش من تنظيم جلوس الجمهور على شكل دائري وإعداد ما يلزم من وسائل وتدابير تنظيمه مما يدل على وجود الفرجة.

وتعد مجموعة «إيهيَّاضْن» مسرحا متحركا، و«إيهيَّاضْن» هي فرقة فنية، تضم شبانا متمرسين في الغناء والرقص والألعاب الرياضية تتجول في القبائل والمناطق المتباعدة من سوس على مدار السنة، تحت نظر مقدمها، الذي له سلطة مطلقة على أعضاء الفرقة وكلمته نافذة فيهم، يشرف على تنظيم الحفلات الاستعراضية التي يقدمونها، وينسق بين مختلف الألعاب الرياضية التي يقومون بها. وتقوم هذه الفرقة بعروض

فرجوية فكاهية بالإضافة إلى الأقاصيص والأخبار والحكايات مما تحفل به ذاكرة مجتمع سوس. وإضافة إلى فرق إصوابن هناك عروض باقشيش أوبيلماون.

وبخصوص منطقة الريف فقد عرف سكان هذه المنطقة منذ القديم بعض الظواهر المسرحية ك «باشيخ /أقلّوزْ/ شارح مدجاح/ ثاسريش أنونزار (عروس المطر) طقوس حفلة العرس.[2]

من خلال هذا الوصف السريع والمتواضع للجانب الأدائي (أداء) في بعض الفنون الشعبية، يتضح لنا جليا أنها مسرحا في مفهومه الفرجوي، إضافة إلى ارتباطه بالإطار البيئي الخاص، فهو عالم كامل من المدلولات الثقافية الفطرية التي مازالت تمارس على شكلها الطبيعي رغم تعاقب الأزمان عليها.

تقول الأستاذة نوال بنبرايهم «أصبح المسرح الناطق باللغة الأمازيغية واقعا ملحوظا وتجربة متطورة رغم مسيرته التاريخية القصيرة التي لم تتجاوز عقدا زمنيا بإيعاز من الحركة الثقافية الأمازيغية التي اتخذت المسرح كوسيلة للتوعية.[3]

ومع بداية التسعينيات من القرن الماضي ظهرت تباشير أولى لميلاد فن (المسرح) الأمازيغي الحديث، حيث تجمعت أسباب وعوامل أسهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في ظهور هذا الجنس الأدبي، وقد تظافرت مجموعة من الأسباب الثقافية والإجتماعية للإحتفاء بهذا الفن العريق، الذي أكد بأن اللغة الأمازيغية لغة خلق وإبداع وبمقدورها أن تطرق باب جميع الأجناس الإبداعية، وأن تخلق لنفسها نصوصا في جميع مجالات الخطاب الأدبي والفني، فقد لاقت العروض المسرحية الأولى إقبالا جماهيريا مهما واحتفاءا بالغا من لدن مختلف الشرائح الإجتماعية، وهذه الظروف ساعدت في ظرف وجيز على ضرورة تكاثف الجهود لخلق مسرح أمازيغي وإرساء الطقوس والتقاليد المسرحية.

ومع تنامي الوعي بالثقافة واللغة الأمازيغيتين كعنصرين مهمين من مكونات الثقافة والشخصية المغربية، تأسست أول جمعية ثقافية اهتمت بالمسرح الأمازيغي في

2- مدخل لدراسة أشكال الأدب الأمازيغي بالريف، عبد الله شريق. ص 64.

3- نوال براهيم، «المسرح الأمازيغي بين الكائن والممكن»، مداخلة في ندوة (المسرح الأمازيغي: في الجذور والممارسة)، يوم 16 أبريل 2008، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. ص: 47 .

سنة 1967 وهي جمعية البحث والتبادل الثقافي التي حاولت لفت الإنتباه إلى التراث الشعبي الأمازيغي. وقد دعت هذه الجمعية في أكثر من مناسبة إلى الاهتمام بالتراث الأمازيغي.

ولعبت الجمعيات الثقافية الأمازيغية دورا أساسيا في تنشيط المجال المسرحي وتفعيله، كما أن الظروف التاريخية والثقافية والإجتماعية التي ولد فيها المسرح الأمازيغي كانت عاملا أساسيا في خلق جمهور متحمس وعريض لاستقبال فن المسرح.

ومنذ أواخر السبعينات من القرن الماضي برزت إلى الوجود جمعيات أخرى دأبت على تنظيم المهرجانات واللقاءات المختلفة وساعد على ظهور هذا الفن بعض الجرائد والمجلات التي فتحت صفحاتها لبعض الأقلام التي تهتم بهذا الجنس الأدبي، كمجلتي أمود وتفاوت وجريدتي أكراو أمازيغ وتسافوت.

وشكلت المهرجانات الوطنية أحد أبرز المحطات التي أسهمت في بلورة المسرح الأمازيغي الذي بدأت معالمه تطفو على السطح منذ الثمانينات. غير أن أول مسرحية أمازيغية كانت تلك التي قدمت في أوائل التسعينيات في الريف بفضل الفنان الرائد في هذا الميدان، فؤاد أزروال، بحيث قدم مسرحية «أزوغ ذ- ثايوث» «ابحث في الضباب» في شتنبر 1991 وهي من تأليف وإخراج الأستاذ فؤاد أزروال كما شخصها الأستاذ أحمد زاهد، وقد لقيت هذه المسرحية نجاحا كبيرا، ثم تلتها مسرحية جماعية تحمل عنوان «علال ذك - ليمان» علال في ألمانيا، ومسرحية «أمقاز إمضران» «حفار القبور» والتي عالجت قضايا فلسفية، لها علاقة بالموت والحياة وكانت مسرحية فردية، كما انطلق العديد من الشباب- في مختلف جهات البلاد- في ممارسة هذا الفن معتمدين على العزيمة والوعي بضرورة المشاركة في التعبير عن انشغالا تهم واهتماماتهم عبر هذا الفن، فتراكمت الإنتاجات المسرحية وتعددت عروضها واتجاهاتها. وتأسست فرق وجمعيات سخرت كل جهدها للمسرح حتى جعلت منه - مع بدايات القرن الحالي- فنا رائجا في مجال الفنون الأمازيغية. وحسب الأستاذ سليمان البغدادي، فان بزوغ تجربة المسرح الأمازيغي أو المسرح بالأمازيغية «مرتبط أساسا بسؤال الوعي بالذات الأمازيغية وبهوية لها الحق والقدرة على التعبير من خلال هذا الجنس الأدبي/الفني».

وبعد هذه الفترة ظهرت بعض المسرحيات المنشورة منها روميو وجولييت وأوسان اسميضْضنين «الأيام الباردة».

ورغم ذلك، فإن المسرح الأمازيغي مازال يتلمس طريقه نحو بناء أدواته الفنية والجمالية الخاصة. ولم يشيد بعد مقوماته وخصائصه التي تصله بينابيع وخصوصيات الثقافة الأمازيغية الغنية. وأشهر الفرق المسرحية فرقة محترف المسرح بأكادير، فرقة إمْدَّكال للمسرح، فرقة تيكفاريناس للمسرح، فرقة أبوليوس وفرقة تافوكت...

وتشكل عملية إدماج وتوظيف عناصر الثقافة الأمازيغية في فضاءات المسرح الأمازيغي أمرا مهما في خلق مسرح متميز. إضافة إلى أن تقييم وتمحيص ما راكمته التجربة لاستدراك النواقص سيساعد على إيجاد أدوات تعبيرية لطرح القضايا الثقافية والاجتماعية. فلا يمكن التوصل إلى فهم (هذا المسرح) وفهم الكثير مما يحفل به راهنا إلا عن طريق التحاور حول قضاياه وإشكالاته. ولن يصبح منطويا على قيمة حقيقية إلا إذا أحيط بجهد نظري يضيء زواياه وينير مسالكه ولذلك تَمَّ إسناده بنقاش يمتلك القدرة الحقيقية على استكشاف المواقع التي يشغلها داخل السياق العام للنشاط الأدبي والفني الأمازيغي وعلاقاته بالمؤسسات الثقافية التي تهتم به أو يمكن لها أن تساهم في تأسيس تقاليد وإنتاج صيغها وأشكالها الممكن تكييفها وملاءمتها للواقع المحلي.

ومع ذلك، لابد من الإشارة إلى أن المسرحيات الأمازيغية لاقت إقبالا لافتا كالمسرحية التي قدمتها فرقة مسرح الصورة «أوال أوفلا» الأوامر العليا، بحيث تشكل العروض التي قدمتها هذه الفرقة تحولا مهما في المسرح الأمازيغي على جميع المستويات من ناحية الإخراج الذي تحكم في عملية التشخيص والتعامل مع الكلمة. ومن ناحية الموضوع الذي تناول الأدب الشعبي الذي يزخر به التراث الأمازيغي.

كما قدمت مسرحية «العادلون» لألبير كامي بالأمازيغية التي أخرجت لأول مرة باللغة الفرنسية عام 1949 بشكل جيد. وقد قامت بترجمتها الدكتورة شادية الدرقاوي أستاذة اللسانيات بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير وقام بإخراجها موسى توري، كل هذه التجارب جامعة تعد بادرة خير بالنسبة للمسرح الأمازيغي.

إذا كان المسرح الأمازيغي يتوفر اليوم على طاقات أدبية وفنية، فإنه اتسم بخصوصيات متنوعة وأساسية منها أنه ولد تحت تأثير الجمهور وبتشجيع من الجمعيات الثقافية. وبالإضافة إلى كونه فن تمارس فيه اللغة الأمازيغية فإنه كان في بداياته، شبابيا، وهاويا. وفي هذا الإطار أشار الاستاذ فؤاد أزروال أن «المسرح الامازيغي ولد مناضلا في إطار الحركة الامازيغية وفي أحضان جمعياتها، وولد متوقدا بحماس الشباب، وولد فقيرا في إمكانياته المادية والمعنوية.. وكان، في كل ذلك، قويا بجمهوره الذي كان يتجاوب معه انطلاقا من مبدأ الالتقاء المباشر بلغته الأصلية التي تنقل إليه مباشرة وبحيوية... وتخاطبه بشكل واضح وجلي، كما أنه (أي الجمهور) يشاهد لغته تتحدى وتقاوم وهي تنصهر في قوالب فنية جديدة ومغايرة معلنة بذلك عن قدراتها وإمكانياتها».

ومن أجل النهوض به كفن قائم بذاته يجب تنظيم المزيد من المهرجانات واللقاءات، يكون محورها أساسا مناقشة العروض المقدمة من زاوية الإبداع وكذا جانب الإخراج بغية الرفع من مستوى مشاهدة الجمهور. كما يجب خلق فرص التكوين في مجال المسرح الأمازيغي، في المعاهد الوطنية. بالإضافة إلى ذلك، فالإشهار وتسجيل المسرحيات يلعبان دورا أساسيا في آليات التواصل. كما يعد تشخيص التجارب الأولى في المسرح الأمازيغي أمرا مهما لتحديد مواطن القوة والضعف لتفادي الوقوع في أخطاء الماضي. وبفضل المساعي التي بذلت للإرتقاء بالمسرح الأمازيغي، وحيوية الممارسة المسرحية، وإقبال الجمهور عليه بدافع عاطفي، كسب المسرح الأمازيغي فاعليات مسرحية وإبداعية مهمة بدأت تنحت تجاربها المسرحية بكل رزانة وثبات.

وما يزال المسرح الأمازيغي يتطلع إلى المزيد من العطاء والتطور من خلال سعيه الحثيث إلى الاحترافية، ومن خلال إصراره على الاستمرار في الإنتاج وفي تنظيم الملتقيات والمهرجانات التي تعلن عنها جل الجمعيات والفرق المسرحية[4].

ومن أجل الرقي بهذا الفن الفرجاتي المتميز فإن دور المسرحيين، يقتضي ضرورة إنجاز أعمال جيدة تستحضر أولا، تحكمهم في التقنيات المكتسبة سابقا، وتسعى ثانيا،

4- فؤاد أزروال مداخلته «المسرح الأمازيغي بالمغرب ورقة تعريفية أشغال اليوم الدراسي : 13 أبريل 2011

إلى تملك تقنيات أخرى تثبت قدرتهم على الابتكار والاستفادة من مستحدثات الألفية، دون الانسلاخ عن هويتهم الوطنية وأصولهم الثقافية التي يجب أن تدمج في حركة التاريخ الفني الجديد للفنون التعبيرية، وأن تكون دعامة لخلق علاقات تبادل وتفاعل مع المسارح العالمية وعلى الخصوص مع المسرح الأوربي وابتكاراته اللامحدودة.

المرأة والطفل الثروة النفيسة

لا شك أن المرأة والطفل أنفس من أية ثروة مهما عظمت، إذ هما بالنسبة لأي وطن أفضل رأسمال يؤهله لأن يخطو خطوات واسعة في طريق النهضة والرقي ومواجهة تحديات المستقبل والتنافسية العالمية.

وقد حدثت في حياة الشعوب نكبات وأزمات لا حصر لها، بسبب إهمال هذه الثروة النفيسة التي من المستحيل تعويضها في جميع الأحوال، إذا هي ضاعت أو فسدت، في حين إذا تلقت الرعاية اللازمة وغرست بذرتها في تربة الوطن، فلا يمكن إلا أن تعطي الثمار الطيبة المرجوة. كذلك من المستحيل أن يستقيم أي جيل من الأجيال إذا لم نقم برعاية المرأة والطفل وتمكينهما من وسائل العيش الكريم والتربية والتكوين الضروريين.

وإذا كانت قيمة الدول ومعيار تقدمها يتجلى في مقدار ما أنجزته في ميادين عديدة كالصناعات والقوة التكنولوجية والعسكرية فإن القيمة الحقيقية لهذه الدول إنما تكمن في ما قامت وتقوم بتكوينه وتربيته من أجيال، وما شيدته من صرح الإنسان بكل قيمه النبيلة، وهو ما يتوقف بدرجة كبيرة على إعداد المرأة والطفل وتكوينهما وبذلك يتم ترسيخ قيم المستقبل وتشجيع المواهب الخلاقة الشابة وزرع الحوافز في أغلبية أفراد المجتمع.

إن المرأة سواء كانت في البيت حيث تعمل على تربية الأجيال والقيام بأعظم رسالة نبيلة، أو كانت تساعد زوجها وتعيل أسرتها في العمل، وتبني بسواعدها وطنها بكل إخلاص وتفان بجانب الرجل، تعد أحد العوامل الرئيسية المحركة لعجلة التطور.

من جهة أخرى لابد أن نعترف أن المرأة وخصوصا الأم، شكلت بالنسبة لنا النبع الملهم والمرجع الحميمي لتوجهاتنا الفكرية ونزوعاتنا العاطفية، صحيح أن أغلب الأمهات من الجيل الأول كأغلب النساء في القرى والبوادي، وحتى في المدن لم ينلن حظهن في التعليم ولكنهن أثرن في وجداننا بشكل عميق، بمعنى أنهن قمن بتوجيهنا

في حياتنا وخاصة بالحفاظ على اللغة الأم، وكذا باستيعاب ذلك الزخم من التراث من عادات وتقاليد وغيرها.

ورغم التقدم النسبي في ملف حقوق المرأة المغربية ومساواتها بالرجل، ورغم تنصيص الدستور على مبدأ المناصفة، إلاَّ أنّ تعيين امرأة واحدة في الحكومة الحالية، أثار استنكار الحركة النسائية المغربية بمختلف مكوناتها، والتي اعتبرت ذلك تراجعا عن مكاسب المرأة المغربية وعن مضمون الدستور المعدل، إلا أن ذلك لم يضعف الصفّ النسائي المغربي بقدر ما صار مدعاة لبذل المزيد من الجهود لتحتل المرأة المغربية مراتب أخرى موازية ومهمة، نظرا لما عُهد فيها من كفاءة عالية.

إن الدستور الجديد يضمن الحريات للرجل والمرأة والطفل، وإن تفعيله بشكل سليم سيعود بشكل إيجابي على وضعية المرأة والطفل .

إننا إذ نحتفي بالمرأة المغربية في 10 أكتوبر أو بالفتاة في يومها العالمي 09 أكتوبر، فإنما نفعل ذلك بهدف تعبئة جميع الجهود من مجتمع مدني وأحزاب سياسية وغيرها لمحاربة ظاهرة الهدر المدرسي الذي ينخر العالم القروي وكذا العمل على منع تزويج القاصرات والسهر على تنفيذ ذلك ومتابعته ميدانيا، والعمل على تغيير الذهنية التي تكرس هذه السلوكات.

إننا اليوم ونحن نحتفل بالمرأة المغربية نستحضر ما تحقق من مكتسبات لصالح المرأة وننتظر كذلك التنزيل السليم للدستور خاصة ما يتعلق بمبدأ المناصفة في المادة 19 من الدستور الجديد، ولعل تعيين نساء ذوات الكفاءة العالية في المناصب العليا في المستقبل لخير تتويج للمرأة التي طالما ناضلت من أجل المساواة. وقد تمت المصادقة على مرسوم التعيين في المناصب العليا وفق مبدأ تكافؤ الفرص والاستحقاق والشفافية، وهذا القانون الذي ينص على المناصفة بين النساء والرجال باعتبارها مبدأ تسعى الدولة لتحقيقه طبقا لأحكام الفقرة الثانية من الفصل 19 من الدستور.

إن حقوق المرأة الدستورية والسياسية، وكذا مكتسباتها أصبحت نافذة بقوة المؤسسة الدستورية وبمنطق الواقع الذي يحكمه التطور.

احتفالا باليوم العالمي للمرأة 2017
المرأة المغربية في المرافق العامة

حققت المرأة المغربية العديد من المكتسبات في ميادين شتى وذلك بفضل الجهود التي يبذلها المغرب للنهوض بأوضاع هذه الشريحة المجتمعية. وهكذا اقتحمت المرأة المغربية ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية متحملة بذلك كل مسؤوليتها كمواطنة يقع عليها، مساواة مع الرجل، عبء بناء الوطن وتنميته.

لقد نص الدين الإسلامي الحنيف على حقوق المرأة كما أقر بمساواتها بالرجل في سورة النساء التي يعالج محتواها حقوق المرأة في الحياة الأسرية، والإجتماعية.

كما أوصى الرسول الكريم صلى الله عليه والسلام الرجل بالبر بزوجته حيث قال «خيركم خيركم لأهله» وتكاد المرأة تصل مكانة التقديس عند قيامها بدور الأم، فالجنة تحت أقدام الأمهات، وتبلغ الوصاية القرآنية مداها للإحسان بالأم والأب في محكم آياته «ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن ...» فقد شكل هذا التكريم اللبنة الأولى في إنصاف المرأة.

العناية الملكية بالمرأة المغربية

لا يمكن الحديث عن المرأة المغربية دون الإشارة إلى العناية التي أولاها إياها كل من المغفور له الملك محمد الخامس ووارث سره الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه وصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله الذي حرص، منذ اعتلائه عرش أسلافه الميامين، على النهوض بحقوق الإنسان عموما وفي طليعتها حقوق المرأة.

وإذا كان جلالة المغفور له محمد الخامس، قد سهر غداة استرجاع المغرب لاستقلاله، على وضع مدونة للأحوال الشخصية، شكلت في إبانها لبنة أولية في بناء صرح دولة القانون، وتوحيد الأحكام في هذا المجال، فإن عمل جلالة المغفور له الملك

الحسن الثاني نور الله ضريحه، تميز بالتكريس الدستوري للمساواة أمام القانون، موليا قضايا الأسرة عناية فائقة، تجلت بوضوح في كافة ميادين الحياة السياسية والمؤسسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، وكان من نتائجها أن تبوأت المرأة المغربية مكانة أرقى، أتاحت لها المشاركة الفاعلة في شتى مناحي الحياة العامة.

كما لا يمكن للمرأة المغربية إلا أن ترى في الخطب الملكية السامية صلابة الإرادة والرغبة في تغيير واقع النساء المغربيات، بالانكباب على ملف فتحه المغفور له محمد الخامس وهو يشجع على فتح أبواب التعليم والتكوين أمام نساء المغرب، وقطع فيه جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله مثواه أشواطا كبيرة وهو يبدأ الخطوات الأولى لتحقيق المساواة الفعلية على أرض الواقع، فإن الإشارات الرامزة التي سمحت بدخول المرأة إلى المؤسسات المنتخبة والحكومة وعدد من المناصب السامية يعد مؤشرا على الإمكانية والوجود للمرأة في مناصب صنع القرار، حيث تقلدت المرأة المغربية بفضل العناية الملكية السامية مناصب مهمة منها سفيرة وزيرة ووالية.

لقد بوأ صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله نساء المغرب المكانة اللائقة بهن وتعزيز حقوقهن داخل المجتمع حتى أصبحت التجربة المغربية مثالا يحتذى به في العديد من الدول حيث قال جلالته «... فإننا آلينا على نفسنا أن نحسن وضع المرأة بتعزيز مكتسباتها والسهر على تمتيعها بحقوقها الإنسانية والاقتصادية والسياسية...» ولا شك أن جلالة الملك محمد السادس وهو يتحدث في أكثر من مناسبة عن القضية النسائية، قد وطد العزم على أن تصبح المرأة المغربية شريكا فعليا للرجل في كل المجالات العامة، وأن تتبوأ من الشأن العام ما يكفل لها التمتع بكامل مواطنتها حيث قال جلالته في الرسالة الملكية الموجهة إلى المشاركات في القمة العالمية للنساء بمدينة مراكش في 28 يونيو 2003 «... فالتنمية الشاملة التي نعمل من أجلها والنهوض بالبلاد في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية كل ذلك لن يجري نفعا في غياب مشاركة النساء واستفادة كافة مكونات المجتمع من ثمار التقدم» وهو ما أكدته نفس الرسالة «وإننا منذ تولينا مقاليد الحكم لتسيير شؤون شعبنا ما فتئنا نعمل جادين على النهوض بالمرأة المغربية وصيانة حقوقها التي من خلالها ساوى ديننا

الحنيف بينها وبين الرجل مواصلين بذلك السياسة النيرة لأسلافنا المنعمين، لقد فتح جدنا المنعم محرر الأمة جلالة المغفور له الملك محمد الخامس طيب الله ثراه أبواب المدارس وبالتالي سبل العلم والمعرفة أمام النساء إيمانا منه بأن الاستقلال الحق لن يتأتى إلا بتأهيل المغاربة قاطبة لممارسة حقوقهم وأداء واجباتهم والمساهمة في التقدم الإقتصادي والإجتماعي لبلادهم. وواصل والدنا المعظم جلالة المغفور له الملك الحسن الثاني تغمده الله برحمته تشييد صرح المغرب الحديث فاسحا المجال أمام النساء لولوج كل أسلاك التعليم وقطاعات الشغل فحرر ما يزخرن به من طاقات وعينهن في أعلى مناصب المسؤولية بالإدارة والقضاء والمؤسسات العمومية وأسند إليهن حقائب وزارية مبرزا دوما ما يتحلين به من كفائة وانضباط واستقامة...»

كما أكد جلالته في الرسالة نفسها على الأهمية التي تكتسيها مشاركة المرأة في التنمية على مختلف مستوياتها «واستشعارا منا لما تكتسيه تعبئة النساء ومشاركتهن من ضرورة قصوى لبلوغ الأهداف التي رسمناها لأنفسنا بغية تحقيق النمو الإقتصادي والتنمية المستدامة لبلادنا». وتمثلت أولى بوادر هذه العناية من خلال مساهمة المرأة في الدروس الحسنية، بعدما ألقت الأستاذة نجية مكاوي درسا حسنيا بين يدي جلالة الملك محمد السادس نصره الله.

فلأول مرة تلقي إمراة درسا حسنيا أمام نخبة من علماء المغرب والعالم الإسلامي، وكان الموضوع «كونية نظام الأسرة في عالم متعدد الخصوصيات» وقدم قبل أسابيع قليلة من الإعلان الرسمي عن مشروع مدونة الأسرة التي بلغت معها العناية الملكية بالمرأة أوجها بالنظر لما حملته في طياتها من مستجدات تنصف النساء وتعيد لهن اعتبارهن وتحفظ كرامتهن.

ومن المؤكد أنه إذا كانت مدونة الأسرة تشكل منعطفا حقيقيا في تاريخ التشريع المغربي، وقفزة نوعية توخت تعزيز حقوق المرأة والطفل، خاصة ما يتعلق بحقها في الزواج والطلاق والولاية والحضانة، فإن خطوات أخرى تلتها لتعزز هذه المكتسبات ومنها منح الأم المغربية الجنسية لأبنائها من زوج غير مغربي، واعتماد الاستراتيجية الوطنية لمناهضة العنف والتحرش الجنسي ضد النساء، واستحداث مراكز استماع.

كما أعطى صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله إشارات قوية بخصوص الدور الذي يجب أن تلعبه المرأة المغربية في بناء المغرب ويتبين جليا عندما تم اختيار خمس نساء لعضوية اللجنة الاستشارية لمراجعة الدستور.

ولعلّ مكتسبات دستور 2011 رغم كل ما قيل عنه خطوة جبارة في طريق إنهاء النزاع في موضوع المساواة بين الجنسين، فالفصل 19 ينص صراحة على المساواة بين الرجل والمرأة في كل الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية. وتشكل مقتضيات الدستور قاطرة مهمة في ترسيخ الديمقراطية ومبادئ حقوق الإنسان في شموليتها. فمضامينه تكرس مبدأ المساواة والمناصفة والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص بين الجنسين.

مساهمة المرأة في المرفق العام

وبالنظر إلى المسار التاريخي للمرأة المغربية ومشاركتها في الحياة العامة، تمكنت منذ الإستقلال من اقتحام مختلف المرافق الإدارية العمومية. فعلى الرغم من معاناتها من إكراهات الجمع بين الأعباء المنزلية والمسؤولية الأسرية من جهة والمتاعب المهنية من جهة أخرى، فقد استطاعت أن تفرض وجودها في عدة وظائف كانت حكرا على الرجل إلى وقت قريب.

وهكذا قطعت المرأة أشواطا كبيرة في سلم التطور فوصلت بذلك إلى أعلى الدرجات في عدة مجالات ثقافية واجتماعية واقتصادية، بفضل المكانة الرفيعة التي بوأها إياها المجتمع.

بلغ عدد الموظفات في الإدارة العمومية إلى غاية 2004، أزيد من 168 ألف وتمثل نسبة الأطر منهن أكثر من 44 في المائة.

وحسب معطيات جديدة لوزارة الوظيفة العمومية وتحديث الإدارة كشفت أن نسبة النساء بالوظيفة العمومية عرفت تحسنا ملحوظا في بلادنا، إذ أنها ارتفعت من 36.8 في المائة إلى 38.6 في المائة من مجموع موظفي الدولة كما ارتفعت نسبة عدد النساء المغربيات في الإدارة المغربية بحوالي 2 في المائة مقارنة مع السنة الماضية لتصل بذلك إلى 38.6 في المائة خلال سنة 2016.

وأظهرت نفس المعطيات التي قدّمتها الوزارة السنة الماضية بمناسبة بسط مشروع قانون المالية لسنة 2017 على أنظار البرلمان في شقه المتعلق بالموارد البشرية للإدارة المغربية، أن أكثر من 90 في المائة من النساء يتمركزن في ستة قطاعات وزارية. كما أن نسبة مساهمة المرأة حسب قطاعات الشغل والنشاط الاقتصادي في الوسط الحضري بلغت أكثر من 9,20 في المائة في حين لم تتعد نسبة العنصر النسوي في مناصب المسؤولية أكثر من 8,5 في المائة.

وسجلت المعطيات الرسمية أن قطاعي التربية الوطنية والتعليم العالي يضُمّان 58 في المائة من المغربيات الموظفات، وقطاع الصحة 12.8 في المائة، والداخلية 11.3 في المائة، في حين أن وزارة العدل والحريات تضم 4 في المائة، ووزارة الاقتصاد والمالية 3.5 في المائة.

وكشفت نفس المعطيات أن وزارة الصحة تشهد تمركزا قويا للعنصر النسوي، بمعدل 58.9 في المائة، بينما تصل إلى 42 في المائة من مجموع عدد موظفي قطاعات التربية الوطنية والتعليم العالي، والاقتصاد والمالية، والأوقاف والشؤون الإسلامية.

وبالنسبة للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية كمؤسسة علمية أكاديمية فإن العاملات بالمعهد يشكلن في مجموعهن 41 بالمائة من مجموع العاملين، ويبلغ مجموع الموظفات 42 أما نسبة الباحثات فلا تتجاوز 20 بالمائة (9 باحثات مقابل 37 باحث).

وبفضل الحنكة والكفاءة التي أبانت عنها المرأة المغربية وهي تمارس مهامها داخل الأسلاك الإدارية تمكنت في الآونة الأخيرة من اقتحام ميادين كانت من اختصاص الرجل، منها ساعيات البريد اللواتي أصبحن يجبن أزقة وشوارع العديد من المدن بعدما تخرج أول فوج لساعيات البريد من المعهد الوطني للبريد والمواصلات بالرباط منذ سنة 2001 إثر تلقين تدريبا استفادت منه 68 موزعة على صعيد المغرب.

وعلى الصعيد الإفريقي كانت المرأة المغربية سباقة إلى تولي منصب القضاء منذ سنة 1959 حتى أصبح عددهن يصل سنة 2004، 442 قاضية مقابل 892 قاضيا أي ما يعادل نسبة 50 في المائة. وحسب تقرير حول منجزات وزارة العدل لسنة 2015، بلغ

عدد القاضيات اللواتي يتحملن المسؤولية بالمحاكم المغربية، ما مجموعه 11 قاضية مسؤولة من أصل 211 منصبا للمسؤولية بالمحاكم، أي بنسبة 5,21 %.

يذكر أنه من بين المهام الجسام التي أسندت للمرأة القاضية في السنين الأخيرة، حسب التقرير، هي مهمة قاضي الاتصال، حيث توجد قاضية بكل من باريس وبروكسيل للقيام بهذه المهمة، كما أسندت للمرة الأولى في تاريخ القضاء المغربي مهام التوثيق بإحدى سفارات المملكة بأوروبا لقاضيتين اثنتين.

وقد تمكنت المرأة المغربية في هذا الصدد من كسب رهان آخر يشهد على كفاءتها وذلك بتعيينها عمدة ووالية وهو ما من شأنه أن يكرس دورها الفعال إلى جانب الرجل في تحقيق التقدم لبلادنا.

وعلى مستوى قطاع البحث العلمي فتشكل النساء الباحثات ما يقارب من 20 في المائة حيث يبلغ عدد النساء اللواتي يزاولن مختلف أنواع العلوم 1423 باحثة في أصل 6941 باحثا.

كما تعد المرأة المغربية أول امرأة عربية اقتحمت ميدان النقل بمختلف أنواعه من طائرة وقطار وحافلة وسيارات أجرة. بعد أن تلقت تداريب مكثفة بمدارس التكوين داخل وخارج الوطن وبعدما اجتازت بنجاح الاختبارات الطبية والسيكولوجية المتعلقة بالأهلية المهنية وشهدت الأسلاك العسكرية أيضا تخرج عدد من النساء، ولجن صفوف القوات المسلحة الملكية بجميع مكوناتها. وعرفت السنوات القليلة الماضية تخرج فرق نسوية لتعزيز صفوف الدرك الملكي للتدخل السريع كما تعودنا على رؤية المرأة المغربية تمارس مهامها إلى جانب الرجل كشرطية للمرور.

يشار إلى أن عدد الشرطيات في أسرة الأمن بالمغرب يفوق 4 آلاف، منهن عميدات شرطة، ومفتشات شرطة، وضابطات، ومنهن رئيسات دوائر، كما عززت شرطيات فرقة الأخلاق العامة، إلى جانب تعيين بعضهن في مناصب المسؤولية بمصلحة مكافحة الجريمة الإلكترونية، ومصلحة الجريمة المالية والاقتصادية، ومصلحة مكافحة العنف ضد النساء وكذا المصالح الاجتماعية للأسرة موظفي الإدارة العامة للأمن الوطني وتزاول المرأة المغربية مهام أخرى منها حارسة بالسجون وغيرها من المصالح والقطاعات التي ولجتها المرأة ببلادنا.

خصوصيات الشعر الأمازيغي بالمغرب

تشكل اتفاقية عام 2003 لصون التراث الثقافي غير المادي واتفاقية عام 2005 لحماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي أداتين عمليتين تسعى اليونسكو من خلالهما إلى تشجيع نشر التراث الشعري العالمي، وحفز الإبداع الشعري الذي تنعقد فيه الصلة العميقة بين التنوع الثقافي والتنوع اللغوي، فالشعر يعد صناعة لغوية للتعبير عن ذواتنا، وعن إنسانيتنا.

انطلقت فكرة اليوم العالمي للشعر خلال فعاليات مهرجان ربيع الثقافة الفلسطينية في باريس عام 1997، حيث وجه الشعراء المشاركون (محمود درويش وفدوى طوقان وعز الدين المناصرة) نداءً إلى المدير العام لليونسكو آنذاك، فيديريكو مايور، وكان شاعرا أيضاً، مطالبينه بضرورة تسمية يوم عالمي للشعر.

وفي عام 1998 قدم مثقفون مغاربة منضوون في «بيت الشعر في المغرب» طلبا لمنظمة اليونسكو بهذا الصدد، فكان أن قرر الجمع العام لهذه المنظمة في دورته الثلاثين التي شهدتها باريس إعلان يوم 21 مارس يوما عالميا للشعر. وتضمنت وثيقة الإعلان عدة اعتبارات مرتبطة بواقع الإنسان المعاصر، ومدى حاجته إلى الشعر. ووفقا لمقرر اليونسكو، فإن الهدف الرئيسي من ذلك هو دعم التنوع اللغوي من خلال التعبير الشعري، وإتاحة الفرصة للغات المهدّدة بالاندثار كي يُسمع لها في مجتمعاتها المحلية.

وأشارت إيرنينا بوكوفا، مديرة منظمة اليونسكو، في إحدى رسائلها في اليوم العالمي للشعر، إلى أن «لكل لغة شعرها الخاص، ولكل إنسان في أعماقه شاعر مرهف الحس»، وزادت: «ويجسد الشعر، سواء كان بسيطا أو مزخرفا، أدق التفاصيل في بحور التجربة البشرية؛ فهو يعبر عما تعجز عن وصفه الكلمات، وعما يشكل الكنز المكنون للبشرية جمعاء».

ولعل اللقاءات التي تنظم تكريما للشعر والشعراء، كالتظاهرة الثقافية التي نظمها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بمقره يوم 27 أبريل 2017، تحت شعار «الهند-المغرب: حوارات شعرية»، بمشاركة شاعرات وشعراء من البلدين، تشكل إحدى اللبنات الأساسية للحفاظ على ذاكرة الإبداع المغربي؛ كما أنها محطة مهمة للتعريف بآداب وثقافة الشعوب الأخرى كما هو الحال بالنسبة للهند التي استضافت التظاهرة المذكورة شاعرها الكبير Javed Akhtar جافيد أختار.

خصوصيات الشعر الأمازيغي بالمغرب

يطرح الوضع الحالي للأدب الأمازيغي ضرورة انتقاء الشعر القديم، وذلك باختراق مجاهل الأصقاع للتنقيب عن هذا التراث النفيس، وكذا الحرص على جمعه ودراسته وتحليله، وتهيئة الأسباب التي تعطيه المكانة المرموقة على الصعيد العالمي، وهي الغاية المنشودة التي تهدف إليها التظاهرات الثقافية التي تعنى بالموروث الشفهي الوطني، خاصة الأدب والشعر الأمازيغيين.

ويمثل الشعر المأثور الذي توارثته الجماعات والأجيال عن بعضها البعض، وفي جميع أشكاله، عصارة فكر المجتمع الأمازيغي ويحمل سماته الروحية والحضارية ويجسد ثقافته في مراحلها المختلفة وتطلعاته.

الشعر الأمازيغي وآفاقه

ظهرت نصوص أدبية أمازيغية منذ أواخر الستينيات من القرن الماضي، وقد اهتمت بها دوريات أمازيغية رائدة كانت تدرجها على صفحاتها، ولعل أشهرها مجلة أمازيغ، وبعدها مجلات أخرى كـ «تيفاوت» و«أناروز» وغيرها.

والشعر الأمازيغي سجل الأمازيغ، المكتنز لأخبارهم، المبين لمعاني كلامهم. فقد ظل للشعر موقعه، حيث يعد أحد الفنون النظمية التي ابتدعتها قرائح المبدعين الأمازيغ بلغتهم الأم، تتجلى حيويتها في الأغاني والقصائد التي يروجها شعراؤها. وفي هذا الصدد يقول الأستاذ محمد شفيق في كتابه لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين: منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي دار البوكيلي للطباعة

والنشر والتوزيع ص 64: «وقد تعصب أحد أولائك الشعراء لـ«لغة أمه» إلى درجة أنه زعم أن الغزل يستحيل بسواها، إذ قال:

في لغة أمي

بُحت إليك حبيبتي، بسرِّي!

كيف يفعل يا ترى

من يجهل لغة الأمازيغ؟

أبكلمة حبّ، أبدا، لا ينطقُ؟».

ويعد الشعر الأمازيغي من أقدم الفنون الأدبية في الثقافة الأمازيغية، وهو أكثر الأجناس الأدبية انتشارا وتداولا في المجتمع الأمازيغي منذ عهود مضت، فالشعر التقليدي يشخصه شعر أسايس/ المرقص «فن رقصة أحواش» (أسايس)، الذي تعرفه المناطق القروية، وخصوصا الجنوبية منها.

يقول الأستاذ المجاهد الحسين في مداخلته تحت عنوان «الأدب الأمازيغي بالمغرب» من كتاب (تاسكلا ن تمازيغت مدخل للأدب الأمازيغي أعمال الملتقى الأول للأدب الأمازيغي 17-18 ماي 1991، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي) إن الشعر الأمازيغي غنائي في جوهره، ذلك أن الشاعر أو المغني لا يؤدي مهمته كاملة إلا في محفل جماهيري يتكامل فيه دورا المرسل والمتلقي، وفق طقوس معينة تقليدية يفرضها مقام الرقصة الجماعية (أحواش، أحيدوس). ص 15.

ومن جهة أخرى، شكل الشعر أقوى الأجناس الأدبية وأعرقها في تاريخ الأدب الأمازيغي، فهو الصيغة التعبيرية المتفردة التي ظهرت في حياة الإنسان الأمازيغي، وظل مرتبطا بالسيرورة التاريخية الحضارية للثقافة الأمازيغية (تاريخ الأدب الأمازيغي مدخل نظري منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية يوليوز 2004. ص80).

وتتوزع فروع الشعر في منطقة سوس بين الشعر التعليمي والشعر الإبداعي وكذا الطقوسي، كشعر «أسالاّوْ» الذي يعد شعر طقوس حفلات الزفاف.

لقد أشار الأستاذ عمر أمرير في دراسته «رموز الشعر الأمازيغي وتأثيرها بالإسلام» مطبعة مكتبة دار السلام – الرباط- إلى أن المصادر المهتمة بالشعر الأمازيغي أجمعت على أن كلمة Amarg» «هي المصطلح الدال على الشعر في سوس والمؤشر على قدرة الإبداع الشعري، والمحيل على مجموعة من الإنتاجات الشعرية فضلا عن أنها عبارة عن الاحتفال الشعري.

كما أن كلمة أمارك أي الشعر غالبا ما لا تعني النظم بمفهومه التقني، أي الصنعة، بقدر ما تدل على الشعر كنتاج انفعال وجداني. ويعرف الشاعر (أنظام، أمارير) أيضا بـ«بووْمَارك»، أي صاحب الشعر، كما تطلق الكلمة نفسها على القصيدة. والكلمة نفسها تطلق على الشوق والحنين الذي يشعر به الإنسان نحو أهله ووطنه وأحبائه، ومن الناحية الإصلاحية كما أشرت هو الشعر المتغنى به، سمي كذلك من حيث هو الوسيلة الأكثر تعبيرا عن المشاعر والأحاسيس، يضمنها الشاعر شعره محملة بلواعج النفس، وأشواق القلب وآماله، ومن هذا المعنى الأخير أخذ معنى الشعر المؤثر في النفس، فسمي «إموراك»، بمعنى الشعر المغنى. ويذهب الأستاذ محمد شفيق إلى القول إن «أمارَك» كلمة تتركب من عنصرين اثنين «أمَ» و«ارْك»، الأول أداة تلحق بالفعل فتجعله اسما.. ولأمارَك معنى آخر هو الشوق والحب.

و«أمرير» ربما جاء من «أورارن» أي: الأشطر الشعرية التي يرددها الشاعر في «أسايس»، ويتغنى بها أمام الجمهور.. فلما حان ترديد «أورارن» وقفا على الشاعر، سمي «أمارير»، كما سمي المكان الذي يردد «أورارن» والشاعرة «تاماريرت». وأمارير كما يشير الأستاذ عمر أمرير هو العنصر الذي تتأسس عليه كل عناصر الاحتفال. كما سمي المكان الذي يردد فيه أشعاره «أسرير».. إماريرن جمع أمارير ومعناه المنشد للأشعار أو المغني المطرب، وهو مصدر أرار.. وفعل أراتيري أي يغني. ويطلق لفظ إماريرن على شعراء أحواش الذين ينشدون أشعارهم ارتجالا في «أسايس»، كما يسمون أيضا «الروايس»، (انظر أماريرن، مشاهير شعراء أحواش في القرن العشرين أحمد عصيد منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية 2011 ص6).

كما تتعدد المصطلحات وتتوزع بتنوع الأشكال الشعرية، ومن أهم المصطلحات المتداولة بين الممارسين والمهتمين بالشعر الأمازيغي أمارك، وهو كما أشرت من الناحية اللغوية يحمل دلالات تجمع «بين الحزن والحنين والشوق إلى البلد الأم (تامازيت) أو إلى الأحبة الغائبين. (تاريخ الأدب الأمازيغي مدخل نظري سلسلة الدراسات الفنية والأدبية، أعمال مائدة مستديرة 20 - 21 يوليوز 2004 مداخلة الأستاذ الحسين أسكنفل ص، 91).

ومن الناحية الأدبية والفنية يستعمل أمارك للدلالة على مختلف أشكال التعبير الإبداعي والأدبي. وأمارك (Amarg) كلمة تستعمل في الجنوب المغربي مثلا للدلالة على الشعر المُغَنّى المصاحب والمرتبط بالرقص والغناء أو الإنشاد والاحتفال. (دراسات في الأدب الأمازيغي، أحمد عصيد منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ص 8).

من جهة أخرى تتوزع فروع الشعر في منطقة سوس بين الشعر التعليمي والشعر الإبداعي وكذا الطقوسي؛ فقد ذهب الأستاذ عمر أمرير في كتابه المشار إليه أعلاه إلى أن الشعر الطقوسي أسْلاَّوْ نموذجا هو الذي يضرب في أعماق التاريخ، والذي توارثته الأجيال عبر العصور، متنا ولحنا في الأغاني بوظيفة تطورت بصور غير متساوية في مختلف المجموعات الأمازيغية.

ويضيف الأستاذ أمرير دائما أن طقوسية هذه المناسبات وحضور الشعر فيها يعتبر مزيجا احتفاليا يتشكل من الممارسات الفعلية، ومن المرددات القولية، لذلك أصبح من المستحيل أن نتصور أحدهما منفصلا عن الآخر، ونعتقد أن المرددات الطقوسية هي الشكل الوحيد الذي وصل إلينا من الشعر القديم.

إن الشعر في منطقة سوس يتداول في مناسبات عديدة كأشعار مناسبة الختان والزواج وغيرها كثير. يمكن في هذا الصدد أن نشير على سبيل المثال لا الحصر إلى شعر «تاماواشت»، وهو نوع من أنواع الشعر الغنائي، عبارة عن حوار غنائي وأدبي واجتماعي الموضوع، بطيء النغمة والوزن، تختلف ألحانه وأوزارنه باختلاف المناطق. و«تاماواشت» كلمة أمازيغية مفردة جمعها «تيماواشين»، وتطلق على لون من ألوان المحاورات الشعرية، وتكون مرتجلة ذات مستوى رفيع، سواء من حيث الشكل أو

الإيقاع الصوتي المميز؛ كما تعد نوعا من أنواع الشعر الغنائي، بطيء النغمة والوزن تختلف ألحانه وأوزانه باختلاف المناطق، ومن حيث المضمون الذي كثيرا ما يتستر وراء الرمزية والألغاز. (مجلة تاوسنا العدد 1، 1994 ص50 تدوين الموروث الشفوي).

ـ شعر القصيدة المطوّلة المغنّاة، سواء التي تصحبها آلات موسيقية أو لا تصحبها، كما هو شأن قصيدة «الروايس» Rways بسوس المسماة «أقصيد» .

لقد أشار الأستاذ عمر أمرير في كتابه محمد المختار السوسي والشعر الأمازيغي (ص 173) إلى أنه وردت كلمات كثيرة في المصادر المكتوبة والشفوية للدلالة على الشعر الأمازيغي، فجمع ما يلي:

«تازرارت- تاماواشت- تاهواريت- تاجرويحت- تامداحت- تامسوست- آوال ن ايسوياس- آدراس- نضم، تانضامت»، وهي المناظرة أو المبارزة أو المحاورة أو المناقرة بين إنظامن. ونجد كذلك «أورار، تاماريرت، آمارك، إيموريك، لهاوا- لغا- أقصيد، شيعر، لمغاني، إيزلي، عيلمولكرش، إيفري، إبناد، آسالاة، آشلحي- آمازيغ...». فتازرارت هو نوع من أنواع الشعر الإبداعي يأتي إما بشكل انفرادي أو جماعي، وهناك أشعار احتفالية تتناول في مناسبة رقصة أحواش.

و«تازرّارت» عبارة عن ثنائيات شعرية ترتبط بالطقوس الاحتفالية، وموضوعه تبادل كلمات الترحيب والمودّة والحب، (دراسات في الأدب الأمازيغي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، أحمد عصيد ص 6). واسم تازْرّارْت هو اسم مفرد مؤنث يجمع على «تيزْرارين»، وهو مشتق من الفعل «زْريرْ»، الذي يعني لغة التهنئة، أما اصطلاحا فيعني نوعا من أنواع الشعر الإبداعي الأمازيغي، على شكل إما مقطع منفرد، أو على شكل قصيدة مركبة من عدة مقاطع.

ـ ولا ننسى شعر الحوار العفوي المرتجل كشعر «أنعيبار». وأنعيبار كلمة أمازيغية اشتقت من كلمة «عبر»، أي وزن الكلام، إذ من الشائع بين المغاربة أن يقول أحدهم للآخر «اعبر كلامك» بمعنى زنه.

وتاماواشت اسم مفرد مؤنث يجمع على «تيماواشين»، نوع من الشعر الغنائي على شكل حوار غنائي بطيء النغمة والوزن تختلف ألحانه وأوزانه باختلاف المناطق.

وللشعر الأمازيغي أوزان تسمى «تانانايت»، وكل وزن يتكون من أجزاء تسمى «تالالايت». و«تالالايت» هذه جاءت من الاسم المذكر «آلالاي».. من تكرار هذه الصيغة يتكون كل وزن مثل: آلالاي لالاي لا د آلال لالال (المختار السوسي والشعر الأمازيغي، الأستاذ عمر أمرير).

وتطلق على القصيدة الطويلة التي ينشدها «أمارير» في أحواش «الدرست»، يستعرض فيها أحداثا واقعية أو قصة عاطفية أو سيرة بطل من أبطال التاريخ أو حكاية أو أسطورة... بسرد الأحداث بحبكة فنية. و«درست» كنوع احتفالي يتميز بشعره الحواري، وهو مصطلح مؤنث مذكره «أدراس»، الذي يعني في الأمازيغية الحلف الكبير (محمد شفيق المعجم العربي الأمازيغي سلسلة معاجم أكاديمية المملكة المغربية- النشر العربي الإفريقي).

وأشهر الشعراء في منطقة سوس الحاج بلعيد، الذي يعد من أكبر «الروايس»، ويحكى أنه كان راعيا وهو طفل صغير وكان يتقن الغناء بالمزمار، ما جعله يلفت انتباه شيخ رماة سيدي محمد أصالح أتزروالت، الذي أدمجه في فرقته؛ وقد عزف على آلات أخرى كالرباب كما تحدث في قصائده عن أحداث بلاد سوس أيام الحماية، والتي كانت تعبيرا عن رفض دخول المستعمر الفرنسي أراضي سوس.

اشتهر بتأليفه لموسيقى الأغنية الأمازيغية بالجنوب، وقد سجل أكثر من ستين قصيدة على أسطوانة أعيد تسجيلها على أسطوانات ميكروسيون قبل انتشار الشريط الصوتي، بالإضافة إلى قصائد أخرى غير مسجلة.. كان الحاج بلعيد معلما مشهورا. وحسب الدكتور عمر أمرير في كتابه الشعر المغربي الأمازيغي (لهجة سوس) طبع سنة 1975، فإن الحاج بلعيد من مواليد «إدا أوباعقيل» (تيزنيت)، وكان هذا الشاعر يبلغ 60 سنة عام 1933، ويرجح أنه توفي بعد سنة 1945 .

وتشير بعض الدراسات إلى أن الحاج بلعيد سافر إلى الشرق، ومكث فيه سنتين، حيث أدى فريضة الحج، ليعود بعدها ويتكلف بتكوين أفواج من «الروايس» وعدة فرق وأجواق موسيقية.. وعلى العموم فقد تناول شعره قضايا وطنية ودولية، ويضاف إليه شعراء كالحاج عمر واهروش، الذي ازداد حوالي عام 1933 بناحية مراكش، والذي وصفته بعض الدراسات بصاحب حافظة عجيبة وذاكرة قوية. هذا دون أن ننسى شعراء محدثين، ومنهم صاحب الإبداعات الأدبية والنبرات الجميلة والرنانة الشاعر محمد مستاوي؛ وهو أول من أصدر ديوانا شعريا أمازيغيا سنة 1976، والراحل علي صدقي أزايكو، والأستاذة محمد أكوناض، ومحمد أشكوك وعمر الطاوس، وعثمان أوزليض، والشاعر أحمد الزياني، وهو مقيم بين هولندا والناظور، وقد أصدر خمسة دواوين شعرية، ومنهم أيضا أحمد حداشي من الجنوب الشرقي المغربي، ومحمد وركرار من أكادير.

وهناك شاعرات برعن في نظم الشعر، ومنهن شاعرة المقاومة «تاوكَرات أولت عيسى»، وفاطمة الورياشي، وخديجة إيكن، ولويزة بوسطاش، وحميدو الراقي، وسعيدة فرحان، وعائشة بوسنينة، وحنان كاحمو وأسماء بلقاسمي... والشعراء الذين استضافهم مركز الدراسات الفنية والتعابير الأدبية والإنتاج السمعي البصري التابع للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بمناسبة اليوم العالمي للشعر 2017 وهم السيدات والسادة: يطو زاقا، أسماء بلقاسمي، ومليكة بوطالب، ومحمد بورشان، ادريس اسرادي، وسعيد الرايس، والمصطفى سرحان، وسعيد مساوي وعلال أيت أحمد.

و«تامديازت» هي مصطلح أمازيغي شائع الاستعمال في الأطلس المتوسط، وفي الناحية الوسطى للأطلس الكبير وواحات الجنوب الشرقي، وهي كلمة مفردة تجمع على تيمديازين أو ثيفرين، ومفردها «ثَايْفَّارت». وهناك من يسمى ذلك «أهلل»، والشاعر هو أمهلل. ويعني مصطلح تامديازت الأبيات الشعرية أو القصيدة الشعرية (المغناة) وقد يطلق على بيت شعري واحد أو على مجموعة من الحكم والأمثال والأقوال المأثورة. وأما الشاعر الذي ينشد أو ينظم تامديازْتْ، فيطلق «أمدياز»، وجمعه إمديازن، (معلمة المغرب الجزء ال7) هم شعراء جوالون بين القبائل المختلفة لنقل الحكم ونشر القصائد الشعرية. وقد لعب هؤلاء دورا أساسيا في توعية القبائل بالقضايا الوطنية كفضح الاستعمار والدعوة إلى المقاومة ضده.

إضافة إلى أن تامديازت موجهة للتغني والطرب، حيث يتم استقبال الشعراء استقبالا متميزا في جل القبائل التي يحلون بها.

وقد كان أمدياز يستخدم قدرته لإبداع الشعر بل وقدرته على ابتكار «النكت» المؤثرة في جماهير المواطنين من أجل إمتاعهم بالفرجة. وكانت تيمديازين سريعة الانتشار، نظرا لبساطة أسلوبها ودقة معانيها، بالإضافة إلى أنها موجهة إلى للتغني والطرب، ما جعل الجماهير الشعبية تُقْبِلُ على حفظ هذه القصائد.

وأشهر شعراء هذا النوع أذكر على سبيل المثال لا الحصر الشاعر النابغة «أَكوراي» و«لوسيور»، اللذين تميز شعرهما بالمتانة والدقة.

وإمديازن هم إلى حد كبير مرآة تعكس ما يجري في المجتمع، يتطرقون لجل القضايا السياسية والاجتماعية.. ولغة الشعر تختلف عن لغة التخاطب اليومي، وتتميز بمعجم غني وصور بليغة وتشابيه ومجازات ورموز، وذلك وفق قوانين إيقاعية نظمية عروضية دقيقة تتمثل في: (ثيط) أي العين، وهي وحدة صوتية من مقطع واحد يتشكل فيها القالب الإيقاعي، بالإضافة إلى حسن الصوت والقرض الفوري. والشعر الأمازيغي ما هو إلا تعبير عن أفراح وأحزان وانشغالات كونية وفلسفية، ويكون مقرونا بالمناسبات الاجتماعية والوطنية والدينية وحتى العالمية.

وفي اللغة الأمازيغية نجد أكثر من مصطلح يطلق على الشعر. يقول الأستاذ محمد شفيق: «هذه اللغة لها شعراؤها الذين يتغنون بها (إيماريرن وواحدهم أمارير وإيمديازن واحدهم أمدياز)».

هناك نمط آخر من الشعر الأمازيغي هو «تايفارت»، وتعني القيد. وسمي النمط الشعري «تايفارت» بهذا الاسم باعتبار النظم الذي يشبه الحلقة المتسلسلة.

وشعر تايفارت هو جنس أدبي قديم في الأطلس المتوسط يرجع إلى جذور الحضارة الأمازيغية التي تعود إلى أزيد من ثلاثين قرنا.

ومواضيع شعر تايفارت تشمل كافة المجالات، وهو نمط قديم ينشده الشاعر وهو يقف وسط الجمهور، ومعه شخصان يرددان البيت الشعري الأخير من القصيدة.

يبدأ الشاعر بمقدمة افتتاحية، وغالبا ما تكون دينية، وبعدها يدخل في صلب الموضوع ليعالج القضية المراد إسماعها للجمهور، وفي الأخير ينتهي باستنتاج عام. إلا أن هذا الفن الشعري له قواعد في الأداء من بينها: على الشاعر أن يدير وجهه يمينا وشمالا تجاه الجمهور المستمع والمتبع لفقراته، وكلما انتهى من فقرة يلتفت إلى المرددين إشارة لإعادة المقطع الأخير، ويسمى في العرف «ثِيوْنْثْ» أي بيت القصيد باعتباره زبدة وعصارة الفقرة من جهة، ثم فرصة لكي يأخذ الشاعر نفسه من جهة أخرى ليسترسل في الفقرة الموالية؛ ومع الانتهاء إخبارا من الشاعر للمرددين والجمهور معا يردد معهما المقطع الأخير.

وبخصوص «إرددان» أو «إنشادن»، وهما كلمتان عربيتان، وحضورهم في المجتمع الأمازيغي بالأطلس المتوسط كشعراء، يشير الأستاذ المصطفى فرحات في كتابه «طقوس وعادات أهل «أبزو» منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ص 48 إلى أن «أصل كلمة «إنشادن» عربي، وتعني المنشدين، ولها بمنطقة «أبزو» مرادف آخر، هو من أصل إمداحن».. ويرتبط حضورهم بالمناسبات الدينية والدنيوية، إذ يعكس شعرهم عادات وتقاليد وحقائق ومعلومات ذات صلة بتاريخ المنطقة؛ فأنشاد مؤرخ أمين في تدوينه لأحداث تاريخ المنطقة التي ينتمي إليها...».

ومن بين أنماط الشعر في الأطلس المتوسط نشير إلى تاماويت، هذا اللون الغنائي الذي يمارس في الأطلس، وهو عبارة عن ألوان المحاورات الشعرية، وتكون مرتجلة وذات مستوى رفيع سواء من حيث الشكل والإيقاع الصوتي المميز أو من حيث المضمون الذي كثيرا ما يوحي إلى الرمزية والألغاز.. يتحاور فتيان قرية وفتياتها في موسم أو عرس وتتمحور المواضيع حول القضايا المتعلقة بالحياة اليومية، إضافة إلى تأملات في الطبيعة. وأهم ما يميز تاماوايت أنها تردد بشكل عفوي وبصوت جد عال يسمع دويه في الجبال. وتاماوايت هو عبارة عن مقطع شعري يدور موضوعه حول تيمة عاطفية، بمعنى المرافقة أو المصاحبة، وهي عبارة عن «موال» طويل النفس، يظهر فيه حسن الصوت وتبرز كذلك براعة المغني أو المغنية. وأشهر الأسماء التي أدت هذا اللون الشعري المتميز «المرحومة يامنة ن عزيز، والفنانة ديفا الأطلس الشريفة كرسيت.

إضافة إلى إزلان ومفرده إزلي، وهو عبارة عن مقطع شعري قصير. وإزلي شعر مصحوب بالعزف، يردده إردّادن بعد الشعر المغني، في حلقات رقصة أحيدوس.. يقول الأستاذ محمد شفيق: «إن من تقاليد الأمازيغيين العريقة الرقص الجماعي المصحوب بالغناء، وهو الذي قال فيه أحد الخبراء الغربيين إنه من إيحاء تموجات السنابل... أو الكثبان في الصحراء، أو أعراف الجبال في الآفاق... وليس من المبالغة أن يقال إن الرقص الأمازيغي التقليدي هو الرقص الكلاسيكي المغربي؛ وليس للمغرب رقص غيره له ميزة تستحق الاعتبار يرشّح بها لأن يمثل الشخصية المغربية...».

وتذهب تسعديت ياسين، الباحثة والأنثربولوجية ومديرة المجلة العلمية أوال بالمدرسة العليا للعلوم الاجتماعية بباريز في كتابها:

Yacine Tassadit. L'Izli ou l'amour chanté en kabyle. Ed Bouchène-Awal.Alger 1990 p15.30.

إلى القول إن إزلي فن شعري شفوي أمازيغي. وإيزلي مفرد جمعه إيزلان، وهي كلمة جذرها «زَلْ». وتذكر الأستاذة تسعديت ياسين أنها كلمة تعني الغناء أو الإنشاد. وإيزلان هي قصائد شعر غزلية قصيرة تنشدها غالبا النسوة ـ وأحيانا الشباب في بلاد القبائل وبلاد الطوارق. والإنشاد يكون أحيانا مرفوقا بموسيقى، ويكون ذلك في الأعراس؛ وهو إنشاد يرافق المرأة في كل أعمالها. (مجلة الثقافة الشعبية).

كما نجد «أهلّلْ» و«ثغونوين» وهناك «أفرادي» كنمط شعري، ويتكون من عدة وحدات شعرية، و«ثمنادين»: وهي فن شعري على شكل حوار ومبارزة فنية إبداعية بين شاعرين، حيث تعتمد على الحوارية كشرط أساسي لاكتمال المقومات الفنية. (الأنماط الشعرية الأمازيغية التقليدية، ص 25 منشورات مركز الدراسات الفنية والتعابير الأدبية والإنتاج السمعي البصري 18 2009 المعارف الجديدة).

وبهذه المناسبة برعت تاوگرات أولت عيسى في فن نظم الشعر التي أشرت إليها سابقا، وتنتمي إلى قبيلة أيت سخمان المشهورة بصلابتها وشراستها. ثم هرا نايت هكو من قبيلة أيت عطا، التي رثت زوجها الذي استشهد في معركة بوكافر الشهيرة.

لا نعلم متى ولدت تاوكرات ومتى توفيت، ولكن حسب رينيي فقد كانت تاوكرات عجوزا حوالي سنة 1930 وصنفت كشاعرة فحلة وشبهت بالشاعر اليوناني الكبير «هوميروس». وتشير الدكتورة فاطمة صديقي إلى أن «رينيي» قال عن تلك المقاومة: «لم تكن نبية ولم تكن سحارة... وإنما كان لها خيال يندهش المرء لما فيه من قوة خارقة».

وفي أواخر أيام حياتها، هاجرت تاوكارت إلى قرية صغيرة تسمى «تونفيت» أشهر أحيائها قصر إيشمحان وتقطنه أغلب قبائل أيت يحيى نايت علي أبراهيم التي شاركت في معارك عديدة ضد الاستعمار في موقع تازكزاوت وغيرها حسب الرواية الشفوية.. وقد هاجرت إليها تاوكرات بعدما انتابها اليأس من الانتصار على المستعمر بأيت سخمان.

يقول المتمزغ الفرنسي، «فرانسوا ريني» (François REYNIERS)، الذي جمع جزءا من أشعار «تاوكراتّ» حسب الأستاذ محمد شفيق في كتابه: «من أجل مغارب مغاربية بالأولوية» منشورات مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، الرباط، 2000: «لقد كانت عدوتنا «تاوكرات» غير ما مرة، هي التي أحيت الحماسة والشجاعة في نفوس سكّان «أغبالا». وبمجرد ما دخل الفرنسيون «أغبالا» غادرته «تاوكـرات» والتجأت إلى «تونفيت» على العدوة الأخرى لنهر»ئورينّ»؛ ولقد ظل نفوذها كبيرا هناك، حيث كان الناس يقدّمون لها الهدايا... إنها شاعرة من طبقة الشعراء اليونانيين الأوائل الذين اتخذهم «هوميروس» نموذجا له؛ معاني شعرها صعبة». ونظمت «تاوكـرات» في ذلك الحدث إحدى «تيماوايين» التي اشتهرت بها من بعد.

وقد ورد في كتاب الأستاذ محمد شفيق عن هذه الشاعرة أن «تاوكرات» أيقنت بأن قومها مقبلون على الرومي لا محالة، وقضت أن «آفة الشجاعة هي كثرة الرجال، واسترخت النساء للدفاع عن أرض الأجداد، في سلسلة من ثلاث «تيماوايين».

«دَّانْ – ديرومين، سْوان أخْ كْ وغبالوا نْ ثاسافث؛ ؤر كيذنْ، قَّنّ يِيْسان،

أهـا دزين تيوَّاس؛ نّانْ أش ا- ثّيْودجار كْ يخامن!»

***

«ثاوكـَ آ يطو، غريذْ ي تودا ذ - يْزَّا؛ ثيوْ ثّين أمي – ذ ييّا

لحال اذا اسنيت يلافن ! ثمازيغن يمش كّوثن ذامِّي وْرْ لينْ!» (محمد شفيق، من أجل مغارب مغاربية بالأولوية، ص. 121.)

«جاءت الروم، ووردوا «عينَ السنديان» عجبا ما فرقوا! ضربوا الخيام، بعد أن ربطوا، وقالوا: «إنَّا لكم منذ اليومِ جيران!».

***

«أطلِّي، «يطو»، و«ثوذا»، و«يزَّةَ» واسترخن النساءَ!

عليهن أن يحملن للحرب لواءَها، فبكثرة رجالِ الأمازيغٌ ينعدم الأمازيغُ!»

***

إن أرضاً عن الفهودِ قِدماً ورثناهَا، لن تكون لعبَّادِ الشيطانِ مرتعا.

فإنْ يقتلوني والنهار جاهر، يطردهم، إذا ما جنَّ الليلُ، «صدايَ»!

إضافة إلى الشاعرة هرا نايت هكو من قبيلة أيت عطا.. لقد أشارت الأستاذة للاصفية العمراني الى أن الشاعرة والمقاومة الأمازيغة هرة حسين نايت بن هكو «شاركت في معركة بوكافر الخالدة، والتي استشهد فيها زوجها أمام أعينها بمعية طفليها الصغيرين؛ وتركت لنا أشعارا معبرة وعميقة المعنى، يمكن اعتبارها من وجهة نظر المؤرخ بمثابة وثائق تاريخية لا يمكن الاستغناء عنها في كتابة تاريخ المقاومة المسلحة في الجنوب المغربي؛ فلم تكتف في قصائدها بوصف الأحداث «كشاهد عيان»، بل ذكرت أسماء الضباط الفرنسيين الذين أطروا تلك المعارك أمثال العقيد شارضو POULAIN وCHARDON وبورنزيل BOURNAZEL وغيرهما.. والمعلومات التي وردت في أشعارها تعد بمثابة مصدر مهم في تاريخ المقاومة النسائية وخاصة ما يتعلق بمنطقة الجنوب الشرقي («دور المرأة الأمازيغية في المقاومة ضد الاستعمار من خلال النصوص الشعرية»، ضمن أعمال الندوة الدولية حول تاريخ الأمازيغ المعاصر (الجزء الثاني) الدورة السادسة للجامعة الصيفية، ن. م.، ص.ص.141 – 160).

ومن بين أشعار هرة حسين نايت بنهكو في رثاء زوجها:

1 – أتاقموت – ن – بوكافر – أها- مي- ووجيلين

2 – هاتيفريت- ن – بوكافر أكي – عيد كوناو

3 – اتيقدنيس كو - لينو – لليغ كاغ تيدينان

4 – أوا- كزاد – ك- بوكافر أها المجاهدين

5 – تيزى - ن- كونو – مايكان عطا أوريتيد إيفين

6 – أدييمزي – ءاديروو – إدييخو

7 – إيكا كو «مجران» إيكا «أجمو» إكا «تزارين»

8 – أشرضو تناك أوت – بوكافر إيود ألوط

9 – أوتاتن إيوو – حدادين اولا الكوم ن – بولا

10 – هات بوكافر أكنني – نودر إيكو دواتيكيناو

11 – ءوسينك ءايت بوكافر ءا صاغرو سي – كورارن

12 – ءاتيدغ – ءاورومي لليغ ك – ءايسكوان

13 – ءاتا- ن – نغ دو ءاورومي لليغ ك – ءايسكوان

وندرج ترجمة هذه القصيدة الشعرية إلى اللغة العربية، كما وردت في مداخلة الأستاذة العمراني.

1 – آه... يا قمة بوكافر أكثرتي من اليتامى

2 – في مغارتك استشهد رفيق حياتي

3 – آه... لن أنسى فاجعة استشهاده

4 – حين بلغني الخبر من طرف المقاومين

5 – أقسم ! لن يحل عطاوي مكانته في قلبي

6 – صغيراً كان أم كبيراً، وسيما كان أم قبيحا

7 – شارك في معارك أجمو وتازرين.

8 – أيها المستعمر شارضو (Chardon)

9 – المرأة البوكافرية تتحداك

10 – وتقول لك عفر وجهك بالطين

11 – وعفر به خيولك وقوة كوم بولا (POULAIN)

12 – افتخر يا جبل صاغرو الهمام

13 – فقد رفع المجاهدون صيتك في بوكافر إلى الأعالي.

دون أن ننسى الشاعرة الأمازيغية التي تألق بريقها في منطقة أزيلال مريريدا نايت عتيق أو مريريدا تنظامت، التي تعد أيقونة الشعر الأمازيغي في الأطلس الكبير الأوسط، والتي تمت ترجمة أشعارها من قبل René Euloge.

وبخصوص الشعر الأمازيغي في منطقة الريف فهو إبداع فني عالج تيمات مختلفة ركزت على وجه الخصوص على معاني المقاومة ضد الاستعمار وقضايا الهوية؛ ومن الناحية الفنية تميز بالبساطة. فالقصيدة بمنطقة الريف فشهدت تطورا طبيعيا حسب الظروف الثقافية والمسار التاريخي.

وخلافا لما هو شائع فإن القصيدة الريفية عرفت أنماطا عديدة من الإبداع، إذ عرفت غزارة في الإنتاج حسب المناسبات الاجتماعية.. وتميزت «إزران» الذي يعد منتوجا فكريا غنيا بالدلالات الثقافية والرمزية (انظر الشعر الأمازيغي القديم: جمالية البلاغة وسؤال الهوية لمحمد أسويق).. وتشكل اللازمة الشعرية أيارال- بويا لازمة للقصيدة الشعرية في منطقة الريف، لأنها ذات دلالة فنية متميزة، لأنها لصيقة بالذاكرة الشعبية، إضافة إلى «تيقسيسين» التي تشكل نمطا خاصا يكتسب جمالية في التعبير.

وقد حفظت الذاكرة الريفية أشعارا تناولت أمجاد وبطولات أبناء المنطقة، كمقاومة عبد الكريم الخطابي ضد الاحتلال الإسباني، إذ نجد قصائد تصف تحركات المقاومين وتحركاتهم وتفاصيل معركة أنوال الخالدة التي دارت رحاها في منطقة تاليليت.

ويعد هذا الشعر الملحمي والقصصي من أروع ما جادت به قريحة الشعراء، معتمدين في ذلك الأسلوب الوصفي الذي يتميز بفخامة اللفظ والرموز التي تصف الحياة اليومية لأهل الريف. فإلى عهد قريب وثقت ثقسيسين و«إزران ن روبيوز»، حيث تتبارى النساء خلال حفلات الأعراس في إظهار محاسن أبنائهن أو بناتهن أو أخواتهن، وكذا أناشيد عديدة تتناول قضايا وطنية.

و«إزران» لفظة تدل على الشعر المغنى بشكل عام، سواء كان قصيدة أو مقطوعات شعرية قصيرة كما هو الحال في «تيقسيسين» Tiqssisin ويعرف الأستاذ فؤاد أزروال في مداخلة تقدم بها خلال الملتقى الأول للشعر الأمازيغي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الأول بوجدة في مارس 2004)، «إزران» بأنها صيغة جمع مفردها «إزري»، وقد تقابله في اللغة العربية تسمية «البيت الشعري»، وهو نمط يعتمد على تجميع ارتجالي لأبيات متعددة لا روابط عضوية بينها، بل قد يتجاوز بيتين أو أكثر متضادي المعنى دون حرج؛ فالشاعر أو المنشد يردد أو يرتجل، حتى إنه في الغالب الأعم يتعذر عليه أن يعيد إنشاد نفس «النص» بذات الأبيات وذات الترتيب.

وندرج نموذجا من إزران.

أيا دهار أبران

أيا سوس ن يخسان

وني زايك إغران

أزايس أغارازمان

أم غرانتش ثبريغين ابيسانْ إفْرانْ

ما يغاريشن نْوَاشْ بنْ تعمانْ

ماذَا قرقاشْ ن غدْ حمو بوُيوْزَانْ.

لقد أشار الدكتور جميل حمداوي في مقال قيم تحت عنوان «أبحاث حول الشعر الأمازيغي بمنطقة الريف» بموقع أرايفينو.نت» إلى أن الشعر الأمازيغي مر بثلاث

مراحل رئيسية هي: المرحلة الشفوية، ومرحلة الكتابة والتدوين، ومرحلة التسميع. ومن ثم، كان الشعر (الإيزري) في المرحلة الشفوية يعتمد على الذاكرة والرواية الشفوية الجماعية، والتقيد بالإيزري، واحترام القافية والروي، وتمثل الميزان العروضي السداسي المقاطع الذي يتمثل في اللازمة الشعرية المعروفة في التراث الشعري الأمازيغي، وهي: لايارا لايارا لايارا لابويا.

ففي كتاب تحت عنوان «أيت ورياغل قبيلة من الريف المغربي دراسة إثنوغرافية وتاريخية» (الجزء الأول) للباحث دايفيد مونتكَمري هارت، ترجمة وتقديم وتعليق محمد أونيا، وعبد المجيد عزوزي، وعبد الحميد الرايس، الترجمة إلى العربية صدرت سنة 2007) ص... «تعتبر «أيَارَا لاَّ بُويَا» هذه اللازمة المشهورة والأبيات المقفاة لها «إزران» إحدى أكثر القيم الريفية والورياغلية استمرارية.. إنها أكثر من مجرد سمة ثقافية، فهي تقليد اجتماعي يحمل طابعا مؤسسيا. ويمكن القول دون مغالاة إن أي قبيلة لا تُغَنَّى بها «أيَارَا لاَّ بُويَا» لا تعتبر ريفية حقا ...».

وقد عرفت القصيدة في الشعر الأمازيغي في منطقة الريف تطورا مهما، وأثثت الساحة الأدبية بدواوين شعرية متميزة، نذكر من شعرائها على سبيل المثال لا الحصر سعيد موساوي، وفاظمة الورياشي، وعائشة بوسنينة، وكريم كنوف، ومصطفى بوحلسة، ومحمد العمالي، وأمنوس، والحسن المساوي، والطيب الزوهري، ومايسة رشيدة المراقي، ومحمد أسويق.

وإجمالا لا بد من الإشارة إلى أن الشعر الأمازيغي يحتاج إلى مزيد من الأبحاث والدراسات التي من شأنها أن تبرز خصوصياته وجمالياته.

المقاومة النسائية في الشعر الأمازيغي
(الأطلس المتوسط نموذجا)*

لعبت المرأة المغربية عبر العصور دورا أساسيا في جميع المستويات سواء منها الفنية أو التربوية، حيث قدمت للتاريخ والمجتمع المغربيين مساهمات ومشاركات هامة في مختلف مجالات الحياة، سياسية كانت أم اجتماعية، أم اقتصادية.

وقد نقلت لنا كتب التاريخ أن المرأة الأمازيغية قديما كانت لها مشاركة فعالة في المقاومة ضد الإحتلال وخصوصا ما يتعلق منها بالعمليات العسكرية وتحصين الدفاع بإعداد المؤن والسلاح وتحميس الرجال في المواجهات، ومعالجة الجرحى.

وكان يعتمد عليها في إبداء الرأي في السياسية، وفي الحياة الإقتصادية بالعمل اليومي الذي لا يمارس إلا بصبر واحتمال؛ وفي مجالس القبيلة تشارك بإبداء الرأي وتداول النقاش واتخاذ القرار في مهمات الأمور.

في بداية هذا العرض أشير إلى أن المقاومة النسائية في بلادنا، منذ بداية عهد الحماية إلى الإستقلال، متعددة الأشكال والوجوه؛ وأن مظاهر هذه المقاومة دونت كتابة وشفويا، منها ما وصلنا ومنها ما لم يصلنا؛ وأن الجزء الذي لم يصلنا التصق بالثقافة المغربية الشفوية التي توطدت صلتها بالمرأة.

وبالنظر إلى التاريخ القديم نجد أن أول امرأة حكمت المغرب بقبضة من حديد هي المرأة الأرزاء التي قاومت قبل الفتح الإسلامي حسان بن النعمان وانتصرت عليه وحكمت المغرب عشر سنوات إلى أن قضى عليها الفاتح العربي سنة 82 هجرية حيث قضى عليها في جبال الأوراس في موضع يعرف ببئر الكاهنة. لقد قُدمت شهادات في

* هذا المقال سبق نشره ضمن أعمال الندوة الوطنية التي نظمت يومي 26 و27 يوليوز 2005 تحت عنوان: «المرأة والحفاظ على التراث الأمازيغي تنسيق: الحسين آيت باحسين منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات الأنتروبولوجية والسوسيولوجية، ص : 95 إلى ص 104.

حق هذه الملكة الأمازيغية، ونشير كذلك إلى أن هذه الملكة الأمازيغية أصبحت بطلة مجموعة من الروايات[2]

تزوج ادريس الأول، عند مجيئه إلى المغرب، بكنزة الأوربية الأمازيغية التي ستلعب دورا مهما في ترسيخ قواعد الدولة الإدريسية، وأظهرت تفوقا كبيرا في حسن الإعداد لولدها ادريس الثاني ليتحمل عبء الدولة الإسلامية الأولى في المغرب. وكانت كنزة الأمازيغية تدبر الأمور بمساعدة أشياخ أوربة خلال هذه المدة. بالطبع، لا يمكن للخصال الشخصية وحدها لكنزة أن تتحكم في توجيه الأحداث لصالح مولودها إذا لم تكن تلك الخصال مسنودة بعادات وأعراف اجتماعية وأهداف سياسية دينية لقبيلة أوربة، ومنها عادة تربية الابن في حضن أخواله، ومنهم يستمد عصبيته وسنده ويحمونه. وساهمت أمه في تسيير شؤون الدولة الفتية.

على المستوى الثقافي، سجلت المرأة الأمازيغية حضورا ملموسا مع تميمة بنت يوسف بن تاشفين اللمتونية، التي كانت مشهورة بالأدب وراجحة العقل وكاملة الحسن والكرم.

وعلى المستوى الإجتماعي اشتهرت زينب النفزاوية، أرملة أمير أغمات، بدورها الاجتماعي كما كان لها دور في السياسة وكانت صاحبة النهي والأمر.

كما يزخر تاريخ المغرب الحديث بأسماء العديد من النساء اللائي كان لهن شأن في العديد من المجالات التي يمكن أن تكون حكرا على الرجال، أو قمن بأدوار مهمة في تاريخ المغرب.

والحديث عن المقاومة النسائية في الشعر الأمازيغي حديث عن البعد العميق للثقافة المغربية. وإذا كانت الثقافة كما عرفها علماء الإجتماع «أسلوب حياة» فهي

2- Paul-Serge KAKON, kahena la magnifique, Paris, l'Instant, 1990.

تجدر الإشارة إلى أن هناك عشرات الإصدارات حول «داهيا أو داميا» أو «الكاهنة» كما لقبها الإستوغرافيون العرب في العصر الوسيط؛ وتتوزع هذه الكتابات بين دراسات وأبحاث تاريخية وروايات تاريخية نشرت في مختلف اللغات العالمية، ويمكن على سبيل المثال العودة إلى الرابط المعلوماتي التالي:

http://www.mondeberbere.com/civilisation/histoire/kahina.htm

وليدة البيئة وتفاعل الإنسان معها في تحديه الدائم للصِّعابِ. والشعر الأمازيغي فن من فنون التعبير التلقائي عن هذا التحدي.

لقد سجلت المرأة الأمازيغية حضورًا قويا في المقاومة ضد الإحتلال وخصوصا ما يتعلق منها بالعمليات العسكرية وتحصين الدفاع بإعداد المؤن والسلاح وتحميس الرجال في المواجهات. ويذكر أن المرأة الأمازيغية لم تبق منعزلة عن مجريات الأحداث سواء منها الوطنية أو المحلية. ونقلت لنا كتب التاريخ أن المرأة الأمازيغية شاركت بالقول والفعل وكافحت في معارك ضد الإستعمار. كما أكدت الكتابات الإستعمارية نفسها على دورها البطولي، وكيف أن المرأة الأمازيغية في معركة «بوكافر» الشهيرة بصاغرو تركت بصمات كفاحها خالدة في سجل تاريخ المقاومة المسلحة ضد الإستعمار وأعوانه. حيث أكدت المصادر الأجنبية «أنها كانت تتسلل بشجاعة خارقة لموارد المياه تحت نيران رشاشاتنا، وتسقط أغلبهن، لكن الباقيات يواصلن مهامهن البطولية... وتحمسن المقاتلين بالزغاريد المدوية، كما يقمن بتوزيع الذخيرة والمؤونة، ويأخذن مكان القتلى لتعويضهم، وفي غياب الأسلحة يدحرجن على المهاجمين من قواتنا أحجارا ضخمة تنشر الموت حتى قعر الوادي».[3]

ومن المقاومات المعروفات، المقاومة «عدجو موح» التي استشهدت في معركة «بوكافر» رافضة تقديم فروض الطاعة والولاء للمستعمر وخدامه، ففضلت الإستشهاد على الإستسلام وخدوج بنت أحماد نايت أوفقير، زوجة أحد أبناء المقاوم الشاعر علي بن ابراهيم. ويضرب المثل بنساء أيت عطا اللائي استشهدن في المعركة التي قادها عسو أوبسلام بطل معركة بوگافر. وللإشارة فإن إحدى زوجات «الحاج عسو وبسلام» توفيت على إثر الحروق التي لحقتها في معركة بوكافر وهي تهم بنقل بعض الذخيرة إلى المقاومين، وقضت ابنته نحبها بدورها في نفس المعركة وسنها لم يكن يتجاوز الثالث عشرة وفي ظرفية كانت تستعد فيه لجلب الماء من المنبع الوحيد الذي كان على مرمى

3- George CATROUX, *« Achèvement de la pacification du Maroc 1931-1934 », Paris, Revue politique et Parlementaire*, n° 479, 1934.

عن صفية العمراني، «دور المرأة الأمازيغية في المقاومة ضد الإستعمار من خلال النصوص الشعرية» ضمن أعمال الندوة الدولية حول تاريخ الأمازيغ المعاصر (الجزء الثاني)، الدورة السادسة للجامعة الصيفية، 21 – 23 يوليوز 2000، أكادير؛ دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط 2002، ص. 145.

بنادق القوات الفرنسية في محاولة لإرواء ظمأ رجال المقاومة المتمنعين في كهوف واجراف مرتفعات بوكافر بصاغرو.

كما لعبت فايدة حسن دورا خطيرا في التجسس على المعسكرات الإسبانية في الحرب الريفية. وهناك نساء أخريات اشتهرن بمقاومة الإحتلال الفرنسي في جبال الأطلس من بينهن إيطو بنت موحى أوحمو الزياني ورقية بنت حديدو، وحادة ذكير المزدادة سنة 1937 بإقليم أزيلال. وقد اختارت هذه الأخيرة العمل المسلح وهي في ريعان شبابها حيث انضمت إلى صفوف المقاومة السرية تعبيرا منها على أن الجهاد في سبيل الوطن شيء مقدس حتى بالنسبة للمرأة لتبين بذلك بأن المرأة متساوية مع الرجل في السراء والضراء وبأنها في وقت المخاطر تفضل ألا تبقى مختفية وراء الجدران. ومن المعروف أن المقاومة حادة قامت بأعمال نضالية جليلة، بحيث أحرقت وأتلفت مصالح المستعمر وشجعت المقاومين وساعدت الجرحى واستمرت في عملها هذا إلى أن أصيبت برصاص المستعمر، وهي على رأس المتظاهرين، في لحظة حملها للعلم المغربي وصورة الملك محمد الخامس، ولفظت أنفاسها الأخيرة بساحة المعركة بمدينة خنيفرة.

سوف أتطرق في هذا العرض بشكل موجز إلى نموذجين رئيسيين في المقاومة النسائية في الشعر الأمازيغي:

1- شعر تاوكرات من قبيلة أيت سخمان المشهورة بصلابتها وشراستها.

2- نموذج هرا نايت هكو من قبيلة أيت عطا التي رثت زوجها الذي استشهد في معركة بوكافر.

1 – نموذج تاوكرات من قبيلة أيت سخمان:

لقد أشار الأستاذ محمد شفيق إلى أن مؤرخين فرنسيين أمثال لاووس دونوا الكثير من المواجهات طبعا من زاوية معالجتهم لتاريخ المقاومة المسلحة المغربية وأرغموا عن غير قصد على الإعتراف بشجاعة وأنفة وصمود سكان الجبال الأطلسية المغربية الذين أدّوا ثمن الإستقلال غاليا على الصعيد البشري والإقتصادي والسياسي، كما برعت النساء الأمازيغيات أكثر في تاماوايت، ولا زال إبداعهن إلى يومنا هذا منتشرا في الجبال الأطلسية، والإسم الأنثوي الأكثر شيوعا في هذا النوع هو تاوكرات ؤلت عيسى نايت

سخمان التي شهد لها المستعمرون بالشجاعة والفصاحة رغم أن معظم شعرها كان تنديدا وتحقيرا لهم.

لا نعلم متى ولدت تاوكرات ومتى توفيت ولكن حسب رينيي فقد كانت تاوكرات عجوزا حوالي سنة 1930 وصنفت كشاعرة فحلة وشبهت بالشاعر اليوناني الكبير «هوميروس». وتشير الدكتورة فاطمة صديقي إلى أن «رينيي» قال عن تلك المقاومة «لم تكن نبية ولم تكن سحارة...؛ وإنما كان لها خيال يندهش المرء لما فيه من قوة خارقة».

وشاركت في معارك كثيرة منذ سنة 1914، كان لها شرف الاستشهاد في ساحة الوغى في معركة تازكزاوت حيث ظلت ملازمة للمجاهدين في جل تنقلاتهم. لقد لعبت دورا طلائعيا رغم عاهتها وكانت لديها البصيرة الفكرية بالرغم من عاهتها الجسدية.

ويعد شعرها النضالي من أروع ما أفرزته المقاومة الشعرية الأمازيغية فهو شعر يميزه العداء الحاد والمناهض للمستعمر وبغض كل من يتعامل معه أو يتهاون في محاربته. وأول ما قالت تاوكارت - وله صلة بالمقاومة المسلحة - هو ما هجت به موحى أوريبان، أحد الفارين من ساحة القتال. كما لها أبيات تستغيث فيها بالنساء للمقاومة والدفاع عن وطنهن بعد أن تبين لها انهزام أبناء قبيلتها:

وفي أواخر أيام حياتها، هاجرت تاوكارت إلى قرية صغيرة تسمى «تونفيت» أشهر أحيائها قصر إيشمحان ويقطنه أغلب قبائل أيت يحيى نايت علي أبراهيم التي شاركت في معارك عديدة ضد الإستعمار في موقع تازكزاوت وغيرها حسب الرواية الشفوية. وقد هاجرت إليها تاوكارت بعدما انتابها اليأس من الانتصار على المستعمر بأيت سخمان.

يقول المتمزغ الفرنسي، «فرانسوا ريني» (François REYNIERS الذي جمع جزءا من أشعار «تاوكراتّ» حسب الأستاذ محمد شفيق في كتابه: «من أجل مغارب مغاربية بالأولوية»[4]

«لقد كانت عدوتنا «تاوكرات» غير ما مرة، هي التي أحيت الحماسة والشجاعة في نفوس سكّان «أغبالا». وبمجرد ما دخل الفرنسيون «أغبالا» غادرته «تاوكرات» والتجأت

4- محمد شفيق، **من أجل مغارب مغاربية بالأولوية**، منشورات مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، الرباط، 2000.

إلى «تونفيت» على العدوة الأخرى لنهر «ثورينّ»؛ ولقد ظل نفوذها كبيرا هناك، حيث كان الناس يقدّمون لها الهدايا... إنها شاعرة من طبقة الشعراء اليونانيين الأوائل الذين اتخذهم «هوميروس» نموذجا له؛ معاني شعرها صعبة المنال لمن يريد ترجمتها، لما يتخللها من تلميح وتعريض؛ شعرها ملحميّ تارة، وكأنه تعازيم، وغنائي تارة فيه رقة وحنان وطرب؛ وهو في بعض الأحيان شبيه بأقاصيننا الأسطورية القديمة، لما يتسم به من بداهة وما يتضمنه من تهكم وسخرية...؛ كله شتم مقذع للنصارى ولأتباعهم من «مخازنيه» و«كـوم» ومجندي «الحركة» ولقد امتنع مخبرنا الأول [بوجود شعرها] عن رواية هجوها لنا. لكن مخبرا آخر كان صراحة وأجدر بأن يوثق به، أطلعنا عن محتوى ذلك الشعر» وأطلق Reyniers العنان لحقده على (البربر) وأخذ ينعتهم بكل نعت شائن. ثم يضيف، وكأنه أحسَّ بوخزة ضمير: «ولكن ماذا يا ترى نواخذ به هؤلاء البربر؟ فلنسمع إليهم...!» ويتكرم بعد ذلك على «البربر» بذكر ما كان يراه فيهم من الخصال الحميدة التي يَود لو أن الإنسان الأوربي ظلّ يحافظ على مثلها.

تاوكرات ؤلت عيسى نـ أيت سخمان» نشأت يتيمة، عمياء، ولم تتزوج؛ فاحترفت مهنة الإنشاد في رقصات الأحيدوس، و«اتخذت عاهتها زينة لها، وفرضت شخصيتها على أقاربها ومن يحيط بها، شأنها في ذلك شأن كل من نكبه الدهر، فاستطاع أن يتحمل ما أصابه بشجاعة. متى وُلدت «تاوكرات» ومتى توفيت؟ لا نعلم بالضبط، لكن «ريني» يُخبرنا بأنها كانت، حوالي 1930، «عجوزا هرمة مشرفة على الموت»[5]. كما أشرت ومما لاشك فيه أنها ماتت وفي نفسها أمر؛ ماتت وهي تسائل نفسها: كيف يمكن للكفر أن يتغلب على الإسلام، وكيف يمكن للرّوم أن يتغّلبوا على الأمازيغ ؟ ماتت على عداوة المستعمر، وعداوة من ناصره من قريب أو بعيد، وعداوة من تهاونوا (من وجهة نظرها) في مقاومته، لأنها لم تشف غليلها مع أنها أسمعت الجميع فنوناً من التَّعْيَار، وبالغت في هجْو «المتهاونين» خاصَّة وأن أحد الشعراء الآخرين تضايق من غُلُوّها وزَجَرَها زجرا عنيفا، موبّخاً إياها على انسياقها وراء خيال خصب يخدمه اللفظ في عزلة تامّة عن الواقع المحسوس. وإني لأجدُ شخصيا، في كلام ذلك الشاعر روعة لا تقلُّ عن تلك التي

5- محمد شفيق، **من أجل مغارب مغاربية بالأولوية**، ص. 111.

أجدها في شعر «تاوكرات» نفسه، لما فيه من حكمة بالغة عُبّر عنها في إيجاز ما بعده من إيجاز، حكمة من علّمته التجربة أنّ الكلام لا يمكن أن يُغير مجرى الأحداث في جميع الأحوال، وأنّ لسحر البيان حدوداً من يجاوزْها يظلم نفسه. فإليكم ما أنشده ذلكم الشاعر، في بساطته: «قولوا ل «تاوكـرات ولت عيسى» يا معبد الكَلم، يا عاصية ربها، في جهنم سيكون مأواك!»

إن أول شيء قالته «تاوكرات» وله صلة ما بالمقاومة المسلحة هو ما هجت به رجلا غريبا عن القبيلة ألحق نفسه بها بصفته حدّادًا، نَعَّالا للخَيْل. فلما سمع ذلك الرجل بأن مجموعة من فرسان «أيت سخمان» عزموا على الذهاب للجهاد في الشاوية – سنة 1908 – انضمّ إليهم، مع أنه لم يكن قطُّ شارك في معركة. ولما التقى جمعٌ المسلمين بجمع النصارى أُردي من تحته فرسه وفرَّ هاربا. كان اسمه «موحا وْ الرّيبان». فنظمت «تاوكـرات» في ذلك الحدث البسيط إحدى «تيماوايين» التي اشتهرت بها من بعد. قالت، في شبه ذهول عمّاَ يكتسيه وضع المغرب آنذاك من خطورة اعتمادا على ما أكده الأستاذ محمد شفيق[6]

«يَا قَيْنُ، يا «موحا وْ الريبان»!

لما أَرْديَ منْ تحتكَ الأشْهَبُ،

من ذَا الذّي عَـادَ لخَلْع السَّرْج عنه!؟

لولا «واسّو» ومن لَزمُوا خَلْفَكَ سَاحَةَ القتال؟ !»

وعندما سمع «موحا وْ الرّيبان» أن تاوكارت «قالت فيه شعرا، اعتبر ذلك الشعر مدحا، على ما فيه من ظاهر الهجاء، فصار يعتز بفعاله ويفاخر ويعتدّ بنفسه.

فبلغ ذلك شاعرتَنَا الكبيرة، فأبت إلاَّ أن تهجوه هجْواً صريحًا تُسكتُهُ به، فقالت[7]:

أي «موحا والرّيبان»، يا قينٌ، أنت الّذي لَطَّخْتَ القبيلَ!

6- محمد شفيق، **من أجل مغارب مغاربية بالأولوية**، ص. 112.

7- محمد شفيق، **من أجل مغارب مغاربية بالأولوية**، نفس الصفحة.

إذ فرَرْت فرار الأرنب أَمَامَ «السلوقيات»

الزَم الكُورَ، يا هذَا، واصمُتْ، ما أنتَ أهلا إلا للَمْس الفحْم!

وقد ورد في كتاب الأستاذ محمد شفيق عن هذه الشاعرة الفحلة أن«تاوكرات» أيقنت أن قومها مقبلون على الرومي لا محالة، وقضت بأن «آفة الشجاعة هي كثرة الرجال واسترخت النساء للدفاع عن أرض الأجداد، في سلسلة من ثلاث «تيماواين»

«دَّانْ – ديرومين، سْوان أخْ ك وغبالوا نْ ثاسافث؛ وْر كيذنْ، قَّنّ يِيْسان،

أهـا دزين تيوَّاس؛ ثّانْ أش ا- ثّمْيودجار كْ يخامن!»

***

«ثاوكـَ آ يطو، غريذْ ي تودا ذ - يْزّا؛ ثيوْ ثمين أمي – ذ ييّا

لحال اذا اسنيت يلافن ! ثمازيغن يمش كّوثن ذامِّي وْرْ لينْ!».[8]

«جاءت الروم، ووردوا «عينَ السنديان» عجبا ما فرقوا! ضربوا الخيام،

بعد أن ربطوا، وقالوا: «إنَّا لكم منذ اليومِ جيرانُ !»

***

«أطلِّي، «يطو»، و«ثوذا»، و«يزَّةَ» واسترخن النساءَ!

عليهن أن يحملن للحرب لواءَها، فبكثرة رجالِ الأمازيغٌ ينعدمٌ الأمازيغُ!»

***

إن أرضاً عن الفهودِ قِدْماً ورثناهَا، لن تكون لعبَّادِ الشيطانِ مرتعا.

فإنْ يقتلوني والنهارٌ جاهرٌ، يطردهم، إذا ما جنَّ الليلُ، « صدايَ»![9]

***

8- محمد شفيق، **من أجل مغارب مغاربية بالأولوية**، ص. 121.

9- محمد شفيق، **من أجل مغارب مغاربية بالأولوية**، ص. 113.

2 - نموذج هرا نايت هكو من قبيلة أيت عطا

كان لصوت النساء المقاوم لجيوش الإحتلال صدى في قبائل أخرى مثل قبيلة أيت عطا، ولا زالت لدينا مقتطفات شعرية مغناة لشاعرات تنقل شفويا من جيل إلى جيل وتغذي ذاكرتنا الشعبية.

ويذكر أن المرأة الأمازيغية كانت مجاهدة وشاعرة، دعت في أشعارها للجهاد، ومجدت المقاومين وصبت جم غضبها وحقدها على المتعاونين مع المستعمر وعملائه من الخونة، الذين وصفتهم بكل الصفات القدحية. وقد تمكن شعرها من إخراق الحراسة المشددة التي فرضتها سلطات الحماية للحيلولة دون تسرب أخبار المعارك البطولية التي شهدتها جميع مناطق المغرب، شمالا وجنوبا، شرقا وغربا. ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار شعرها بمثابة «الجريدة الرسمية» للمقاومة. فالمشاركة الميدانية للمرأة الأمازيغية التي تركت حسب الكتابات التاريخية بصمات خالدة في سجل تاريخ مقاومة سكان المناطق الصحراوية ضد الاحتلال الأجنبي، حيث أذكت حماس المقاومين وشاركت بفعالية في استمرار عملية المقاومة تعبيرا عن رفضها للإستعمار وأشهر النساء في هذا الصدد محجوبة من «أكَرض الأحد». ولقد أشارت الأستاذة للاصفية العمراني[10] الى أن الشاعرة والمقاومة الأمازيغة هرة حسين نايت بن هكو: «شاركت في معركة بوكافر الخالدة والتي استشهد فيها زوجها أمام أعينها بمعية طفليها الصغيرين؛ وحسب الروايات التي تتوفر عليها الباحثة حول المقاومة العطاوية، فقد توفيت محجوبة سنة 1977 عن سن ناهز السبعين عاما. وحسب الأستاذة دائما فإن هرة احسين تعتبر من ضمن النساء المقاومات في بوكافر. وقد تركت لنا أشعارا معبرة وعميقة المعنى، يمكن اعتبارها من وجهة نظر المؤرخ بمثابة وثائق تاريخية لا يمكن الإستغناء عنها في كتابة تاريخ المقاومة المسلحة في الجنوب المغربي. فلم تكتف في قصائدها بوصف الأحداث «كشاهد عيان»، بل ذكرت أسماء الضباط الفرنسيين الذين أطروا تلك المعارك أمثال

10- صفية العمراني، «دور المرأة الأمازيغية في المقاومة ضد الإستعمار من خلال النصوص الشعرية» ضمن **أعمال الندوة الدولية حول تاريخ الأمازيغ المعاصر (الجزء الثاني) الدورة السادسة للجامعة الصيفية**، ن. م.، ص.ص.141 – 160.

العقيد شارضو POULAIN وCHARDON وبورنزيل BOURNAZEL وغيرهم. فالمعلومات التي وردت في أشعارها تعد بمثابة مصدر مهم في تاريخ المقاومة النسائية وخاصة ما يتعلق بمنطقة الجنوب الشرقي. ومن بين أشعار هرة حسين نايت بنهكو في رثاء زوجها»[11]:

1 – أتاقموت – ن – بوكافر – أها- مي- ووجيلين

2 – هاتيفريت- ن – بوكافر أكي – عيد كوناو

3 – اتيقدنيس كو - ليينو – لليغ كاغ تيدينان

4 – أوا- كزاد – ك- بوكافر أها المجاهدين

5 – تيزى - ن- كونو – مايكان عطا أوريتيد إيفين

6 – أدييمزي – ءاديروو – إدييخو

7 – إيكا كو «مجران» إيكا «أجمو» إكا «تزارين»

8 – أشرضو تناك أوت – بوكافر إيود ألوط

9 – أوتاتن إيوو – حدادين اولا الكوم ن – بولا

10 – هات بوكافر أكنني – نودر إيكو دواتيكيناو

11 – ءوسينك ءايت بوكافر ءا صاغرو سي – كورارن

12 – ءاتيدغ – ءاورومي لليغ ك – ءايسكوان

13 – ءاتا- ن – نغ دو ءاورومي لليغ ك – ءايسكوان

14 – ءاماس – ن- ءايوري – ءاماس ن – نزار دي –ءايزران ءاكانغ

11- العودة إلى: العمراني، للاصفية: «دور المرأة الأمازيغية في المقاومة ضد الاستعمار من خلال النصوص الشعرية»، م. س. [المداخلة: ص.ص. 141 – 160؛ القصيدة: ص. ص. 150 – 151].
يلاحظ أن الطريقة التي تمت بها كتابة القصيدة لا تسمح لا بقراءتها قراءة صحيحة ولا بفهمها فهما سليما؛ خاصة بالنسبة لمن لا يتقن لهجة الجنوب الشرقي (أيت عطا). (انظر النص بحرف تيفيناغ). المنسق: الحسين أيت باحسين لكتاب المرأة والحفاظ على التراث الأمازيغي.

15 – هات ءايتشا ءايفري ءاحرووي ءايشا ءايلبطناو

16- ءارومي ءاور – تريخ ماشي ربي يوزند ءايا

17 – ربي ءايكا لو كيلنو ءايد ءايعصب غيفي.

A taqmut n bugafr, aha mmi wujiln ,
ha tifrit n bugafr, ag ioiyyd gunaw
a tiqt nns g wul inu lliv kav t id nnan
awa gåz ad g bugafr aha lmujahidin
tizi n gunu, ma igan uoïïa ur t id ifin
ad imzi, ad ixïië, ad irwu, ad ixxu !
ikka gumjran, ikka ajmu, ikka tazarin !
a “crdun”[12] ! tnna ak utt bugAfr, iwä Aluä
utat ttn i updadin, ula lgum n “bula”[13] !
hAT begafr Akæ n nuddr iku d wAtiginaw
usin k ayt bugafr, A ãAvëU s igurArn
A tid v iyyi ttinin tnåalt ur nåalx !
A tanennAv d uëumi lliv k iskwan
ammas n iwri, ammas n unzar d içëan agganv !
hat itcca ifri apruy, itcca ilmï inu
aëmi, ur t rix! mac ëbbi yuznd aya !
ëbbi iga lukil inu, ayd ioããb v ifi !

وندرج ترجمة هذه القصيدة الشعرية إلى اللغة العربية، كما وردت في مداخلة

12- CHARDON
13- POULAIN

الأستاذة العمراني[14]:

1 – آه... يا قمة بوكافر أكثرتي من اليتامى

2 – في مغارتك استشهد رفيق حياتي

3 – آه... لن أنسى فاجعة استشهاده

4 – حين بلغني الخبر من طرف المقاومين

5 – أقسم ! لن يحل عطاوي مكانته في قلبي

6 – صغيراً كان أم كبيراً، وسيما كان أم قبيحا

7 – شارك في معارك أجمو وتازرين.

8 – أيها المستعمر شارضو (Chardon)

9 – المرأة البوكافرية تتحداك

10 – وتقول لك عفر وجهك بالطين

11 – وعفر به خيولك وقوة كوم بولا (POULAIN)

12 – افتخر يا جبل صاغرو الهمام

13 – فقد رفع المجاهدون صيتك في بوكافر إلى الأعالي

14 – ولتعلم النساء اللواتي تنعتني

15 – بسواد وجهي أنني لست كذلك

16 – يكفيني فخرا واعتزازا مقاومتي للنصارى

14- العمراني للاصفية، نفس المرجع أعلاه، (ص.ص. 151 – 152). يلاحظ، مرة أخرى، أن المحاضرة أخذت نص الترجمة كما هو وارد عند الأستاذة العمراني؛ علما بأن معنى الأبيات الشعرية بالأمازيغية لا يقابله دائما معنى ما ترجم إلى العربية، إذا ما أخذنا ترقيم النصين (بالأمازيغية وبالعربية) معيارا لفهم معنى الأبيات الشعرية بالأمازيغية. (الأستاذ الحسين آيت باحسين). عن كتاب المرأة والحفاظ على التراث الأمازيغي. منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية 2005.

17 – في أعالي الجبال وبين الصخور

18- أنام وسط الأحراش والأحجار والأمطار ...

19- حتى تآكلت ملابسي وتمزق منديل رأسي

20- في أعالي الجبال وداخل الكهوف والمغارات

21- كل هذا من أجل صد النصارى عن ديارنا

22- لكن إن كانت هذه إرادة الله

23- فلا مفر من قضاء الله

24- أتوسل إليه أن ينوب عني

25- ويقيني شر هذا المصاب.

ونحن بصدد موضوع المقاومة النسوية الأمازيغية يجدر بنا أن نذكر أن المرأة الزمورية قد ساهمت في تكريس الكفاح الوطني ضد الإستعمار الغاشم، فقد كانت هذه المرأة المجاهدة الدرع الأيمن للرجل حيث كانت تذكي فيه روح الحماس. وقد لعبت المرأة الزمورية دورا أساسيا في مسيرة الجهاد والكفاح، وقدمت في سبيل الوطن تضحيات جسام، وأججت إرادتها وصمدت بجانب أخيها الرجل ولاقت في سبيل الوطن ألوانا من الإعتقال والتعذيب، وقد ساهمت بشكل مباشر في تموين المقاومين وأعضاء جيش التحرير بشكل من الأشكال التالية:

- تخزين الأسلحة،
- الإنخراط في المنظمات والخلايا السرية،
- المساهمة بالأموال وجمعها وإيصالها لرجال المقاومة،
- المشاركة في المسيرات الإحتجاجية،
- كتمان الأسرار والمحافظة عليها،
- القيام بمئونة خلايا المقاومة المسلحة.

ومن خلال كل ما سبق نخلص إلى ما يلي: إن المقاومة النسائية في المغرب منذ بداية الحماية إلى الاستقلال متعددة الوجوه والأشكال واللغات، ولعل الجزء الأكبر لم يصلنا حيث ظل ملتصقا بالثقافة الشفهية المغربية. ونشير كذلك إلى أنه في خضم التحديات المتنوعة التي تواجهنا ومن أجل إعادة الإعتبار للدور الرائد والفعال الذي لعبته المرأة في صنع تاريخ المغرب، أصبحت الضرورة ملحة على المثقفين وعلينا جميعا أن نبحث بحثا جادا في ذلك البعد الإنساني للذاكرة الجماعية المغربية التي تحمل نفائس يجب الكشف عنها وإعادة الاعتبار إليها.

المراجع

- Ahmed Boukous actes du colloque La Standardisation de l'amazighe, IRCAM 2004.

- Ahmed Skounti,Abdelkhalek Lemjidi,El Mustapha Nami, « Tirra Aux Origines de L'écriture au Maroc », Institut Royal de la culture amazighe, Rabat, Série Etudes et Recherches, N°1, 2004.

- محمد شفيق، (2000) من أجل مغارب مغاربية بالأولوية إصدارت مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى الرباط.

- الحسين وعزي، (2000)، نشأة الحركة الثقافية الأمازيغية بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة الرباط.

- عناصر الثقافة الأمازيغية في السينما المغربية، (2015) مؤلف جماعي، نادي إيموزار للسينما، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة الحرية الرباط.

عمر إذ ثنين، (2004) المسرح الأمازيغي بالمغرب البدايات والإمتداد، مطبعة جمعية أفراك ماست.

- وزارة الاتصال (2007) خمسون سنة من الإعلام والاتصال بالمغرب من ظهير الحريات العامة إلى مجتمع الإعلام والمعرفة. الرباط

- أحمد عصيد، (2000) أسئلة الثقافة والهوية في المغرب المعاصر، مطبعة إدگل الرباط.

- التجاني بولعوالي، (2009) الصحافة الأمازيغية المكتوبة بين النشأة والصيرورة، إصدار مركز إعداد المناهج والبرامج الدراسية جامعة لاهاي العالمية للصحافة والإعلام لاهاي هولندا.

- التجاني بولعوالي، (2015) تاريخ الصحافة الأمازيغية المكتوبة في المغرب بين النشأة والتطور، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. الرباط.

- محمد أديب السلاوي الأندلسي، (2011) المسرح المغربي جدلية التأسيس، منشورات «مرسم» الرباط.

- الحسين القمري - محمد أقضاض، عبد الله شريق، (1994) إشكالية وتجليات ثقافية في الريف، مطابع أمبريال الطبعة الأولى الناضور.

- المرأة والحفاظ على التراث الأمازيغي،(2008) منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية أعمال الندوة الوطنية التي نظمت يومي 26 و27 يوليوز 2005، مركز الدراسات الأنتروبولوجبة، تنسيق الحسين أيت باحسين مطبعة المعارف الجديدة الرباط.

- دورية المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية (2004) العدد 2.

- مجلة سيدتي العدد 1749 (2014).

- ابراهيم أخياط، الدرس الافتتاحي أكتوبر 2008، للسنة الجامعية 2008 /2009 بالمعهد العالي للصحافة والاتصال الدار البيضاء.

- جهادي الحسين (2007) عرض قدمه خلال الندوة الفكرية التي نظمتها جمعية حمو اليازيد للثقافة والتنمية قاعة باحنيني الرباط.

- المطالب الأمازيغية في الإعلام العمومي نص الرسالة التي وجهتها جمعية البحث والتبادل الثقافي لوزير الاتصال سنة 1999.

- جريدة المنعطف مارس 2010.

- الحوار الوطني حول المجتمع المدني والأدوار الدستورية الجديدة (أبريل 2014) «التقرير التركيبي، منشورات الوزارة المكلفة بالعلاقات مع البرلمان والمجتمع المدني.

- موقع المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية www.ircam.ma.

- الموقع الإلكتروني لليونسكو http://www.unesco.org

/ttp://tirrawal.canalblog.com/archives

- الموقع الإلكتروني ل MAP. www.map.co.ma

موجز سيرة ذاتية

- خديجة عزيز مكلفة بمهمة في التواصل الخارجي بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية منذ 2009.

التكوين الأكاديمي والمهني

- الماجستير من جامعة لاهاي بالمملكة الهولندية، سنة 2016 بميزة ممتاز مع توصية من لجنة المناقشة بطبع رسالة البحث التي تحمل عنوان «القناة الأمازيغية المغربية، المكاسب المحققة والآفاق المنتظرة».
- خريجة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس بالرباط، سنة 1997 (بحث الإجازة في موضوع: «بعض مميزات الثقافة اليابانية المعاصرة» فترة الميجي (1868-1912م) بميزة حسن).
- تكوين وتدريب بالتحرير العام ثم البث على الأنترنيت بوكالة المغرب العربي للأنباء مدة سنة ونصف (2000-2001).
- تكوين بقسم الأخبار بالقناة الثانية سنة 2007.
- تكوين بالمعهد العالي للإعلام والاتصال سنوات 2006 و2011 و2012.
- الاستفادة من الدورة التكوينية لفائدة صحفيين ومكلفين بالتواصل في اللغة والثقافة الأمازيغيتين بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سنة 2017.

الجوائز

- حاصلة على جائزة الثقافة الأمازيغية صنف الإعلام المكتوب سنة 2010.
- حاصلة على جائزة ثقافية من المركز الثقافي المصري بالرباط حول موضوع «المغرب ومصر علاقات تمتد إلى عمق التاريخ والعقيدة» سنة 1999.

العضوية في اللجان

- عضوة باللجنة الداخلية للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية المكلفة بالتحضير للاحتفاء بذكرى الخطاب الملكي السامي بأجدير سنوات (2015، 2016، 2017، 2018).

- عضوة شرفية منذ 2016 بالمركز الأوربي للصحافة والإعلام، التابع لاتحاد الاقتصاديين والإداريين في الاتحاد الأوروبي بالمملكة الهولندية، الذي يضم دول شمال إفريقيا والشرق العربي، ويوجد مقره الرئيسي بمدينة لاهاي.

- عضو لجنة تحكيم مسابقة جائزة الإبداع الأدبي الذي تنظمه القناة الثانية 2M نسخة 2007.

- عضو لجنة التحكيم مسابقة الفيلم القصير الأمازيغي للهواة إيموزار كندر 2010.

- عضو لجنة التحكيم للجائزة الوطنية الكبرى للصحافة سنة 2012.

- عضوة نشيطة داخل النسيج الجمعوي الثقافي.

- عضوة لجنة التحكيم المسرح الأمازيغي بمدينة الحسيمة سنة 2015.

- عضوة لجنة تحكيم مسابقة فن أحيدوس بمدينة عين اللوح سنة 2016.

المشاركة في فعاليات ثقافية وطنية ومحلية

- الأيام الثقافية الأمازيغية دورة المرحوم ادريس بن زكري سنة 2009.

- فعاليات مهرجان الثقافة الأمازيغية وسمفونية فزاز التي نظمتها جمعية آنازور في 10 فبراير 2010 بالمسرح الوطني محمد الخامس.

- ملتقى المرأة الأمازيغية المنظم من طرف جمعية المرأة المبدعة المعاصرة في 01 يناير 2011.

- فعاليات الدورة الأولى للثقافة الأمازيغية بمدينة إفران في مارس 2010...

- فعاليات المهرجان الوطني للأرز بمدينة گرسيف يوليوز 2010 (جمعية أدرار للتنمية الاجتماعية).

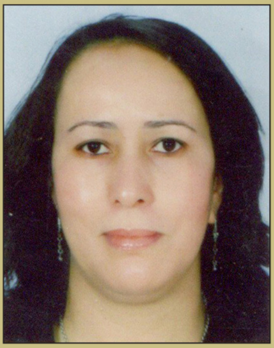

خديجة عزيز

يندرج هذا العمل الذي أقدمه بين دفتي هذا الكتاب في نطاق اهتماماتي المتواصلة بالثقافة الأمازيغية، وما يرتبط بها من قضايا ووجهات نظر متعددة ومتنوعة. وتغطي هذه المساهمات الواردة فيه انشغالاتي بالثقافة المغربية عامة والأمازيغية خاصة في مختلف تجلياتها الفنية والجمالية والاحتفالية، وذلك قرابة عقدين من الزمن. إنه محاولة لبسط رؤية خاصة اتجاه هذه الثقافة من خلال مجموعة من المقالات التي سبق نشرها في منابر إعلامية وطنية، تستهدف الكشف عن الأبعاد الثقافية والحضارية والفنية لمجتمعنا المغربي.

ⴷⴰⴳⵙ ⴷⴳ ⵓⴷⵍⵉⵙ ⴰ ⵜⵉⵖⴰⵡⵙⵉⵡⵉⵏ ⵏ ⵜⵎⴰⵣⵉⵖⵜ ⴷ ⵜⴰⵏⵏⴰⵢⵉⵏ ⵜⵉⵎⵢⴰⵏⴰⵡⵉⵏ. ⴳⴰⵏⵜ ⵜⵎⴷⵔⴰⵡⵉⵏ ⴰ ⵜⴰⵡⵏⵏⵊⵉⵎⵜ ⵉⵏⵓ ⵙ ⵜⴷⵍⵙⴰ ⵜⴰⵎⵖⵔⴰⴱⵉⵜ ⴷ ⵜⵎⴰⵣⵉⵖⵜ ⴷⴳ ⵢⵉⴳⵔ ⵏ ⵜⵥⵓⵕⵉ ⴷ ⵓⵥⵍⵉ ⴷ ⵓⵙⵃⵓⴳⵍⵓ, ⴰⴳⵏⴰⵔ ⵏ ⵉⵙⴳⴳⵯⴰⵙⵏ ⵣⴳ ⵡⴰⵎⵉ. ⵜⴳⴰ ⵜⵡⵓⵔⵉ ⴰ ⵢⴰⵏ ⵉⵔⵉⵎ ⴽⵎⴰ ⴰⴷ ⵏⵟⵟⵉⵡⴹ ⵜⴰⵏⵏⴰⵢⵜ ⵉⵥⵍⵉⵏ ⵙ ⵜⴷⵍⵙⴰ ⴰ, ⵙ ⵉⵎⵏⵏⵉⵜⵏ ⵉ ⴷ ⵉⵃⵃⵖⵏ ⴷⵉ ⵜⵏⵖⵎⴰⵙⵜ ⵜⴰⵏⴰⵎⵓⵔⵜ. ⵉⴳⴰ ⵓⵡⵜⵜⴰⵙ ⵏⵏⵙⵏ ⵜⴰⵏⴰⵣⵓⵃⵜ ⵏ ⵉⵎⵏⵉⴷⵏ ⵉⴷⵍⵙⴰⵏⵏ ⴷ ⵓⵖⵔⵉⵎⵏ ⴷ ⵉⵏⴰⵥⵓⵕⵏ ⵏ ⵡⴰⵎⵓⵏ ⵏⵏⵖ ⴰⵎⵖⵔⴰⴱⵉ, ⵍⵓⵎⵎⵏ ⴷⴳ ⵓⵎⵏⵉⴷ ⵏⵏⵙ ⴰⵎⴰⵣⵉⵖ.